

زحمة مشاعر

مجموعتہ قصصیة

د. محمد لیبیب سالم

طبعة ٢٠١٧

سالم، محمد لبيب

زحمة مشاعر: مجموعة قصصية/ محمد لبيب سالم - .- الجزيرة:
أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

٢٦٤ ص، ٢٠ سم

تدمك: ٥ ٤٤٩ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - العنوان

زحمة مشاعر

مجموعتة قصصية

د. محمد لبيب سالم



رئيس مجلس الإدارة
سرايا محمد لبيب سالم

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة
علاء محمد لبيب سالم

الناشر
سرايا محمد لبيب سالم

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/١٥٢٩٣

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٢٩٩-٤٤٩-٥

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : زحمة مشاعر

المؤلف : د. محمد لبيب سالم

الغلاف : حمدي قنديل

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٠٤٢٤٧١ - ٣٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨



أهدي هذه الرواية إلى كل صاحب كلمة تشع أملاً في
نفوس الآخرين...

obeikan.com

المقدمة

من منا لا يجري ويهرول وراء مشاعره في بحر الحياة الهائج، فالمشاعر الإنسانية هي أعز ما تملكه النفس، هي الترمومتر الحقيقي للسعادة والحزن. وقد تفور المشاعر في لحظة حب صادقة وقد تتفوق في لحظة حزن فارقة. وقد تتزاحم المشاعر وتتضارب فتفقد صوابها، حينئذ نحتاج إلى لمسة حب حقيقية تطل من عيون الآخر؛ لترسو النفس على شاطئ حبات رماله من مشاعر الحب النقية الصادقة، وعن زحمة المشاعر التي قد تتاب النفس تدور هذه المجموعة القصصية التي يشعر القارئ فيها وكأن سطورها تتحدث عنه في لحظة ما يبحث فيها عن مشاعر صادقة وسط زحمة الحياة.

المؤلف

بداخل كل منا زحام من المشاعر بعضها يسعدنا وبعضها
يؤلنا والبعض الآخر يحيرنا، وأحياناً نتساءل، هل ما نشعر به
حقيقة أم محض خيال؟! وهل هذه المشاعر بصمة حب أم كره؟!
ومع أننا أحياناً نسخط على مشاعرنا ونتمنى حالة اللا مشاعر
لعلنا نتجنب ألم القلوب وحزن العقول، إلا أن قلوبنا ترقص
وتفرح بمجرد أن تشم رائحة السعادة فتتسى حينها الألم فتتبدل
مشاعرنا وتتغير لتبقى النفس متقلبة في بحر مشاعرها الهائجة
تارة والهادئة تارة أخرى، وهكذا تتراقص مشاعرنا إلى آخر العمر
ليبقى الإنسان دائماً في زحمة مشاعر لا يستطيع جيش من المرور
تنظيمها.

لمياء السعيد

أم محمد ومناديل المعاش

”فعلاً إذا كان المثل يقول اعمل الخير وارميه البحر،
أنا بقول قول الدعوات وارميها البحر“.

لم يرع اهتمامه السيدة العجوز التي تقف على ناصية الشارع الذي يمر منه يومياً بسيارته وهي تمد يدها لتبيع تلك المناديل للمارة وأصحاب السيارات، لم يلق لها بالاً اليوم بالرغم من حنوه عليها بشراء المناديل ووضع ما تقع عليه يده من جنيهات فضية يضعها بجانب فتيس العربية خصيصاً لهذا الغرض، لم تشغل باله ولم يرها ولم يلق عليها صباحه المعتاد لأن باله كان مشغولاً بخبر ترقيته إلى منصب كبير سوف ينتقل على إثره إلى مكان آخر أكثر أهمية ونفوذاً وسلطاناً، يستطيع منه اتخاذ القرارات المصيرية التي تؤثر على الناس والشارع والحارة والمدينة بل على المحافظة كلها، وكيف لا وهو مرشح لمنصب سيادة سكرتير عام المحافظ.

كاد مختار بيه كما تتاديه السيدة العجوز أم محمد كما يناديه أن يمر بها بسيارته دون أن يراها ولكن لحسن حظها

تغيرت الإشارة من الأخضر إلى الأحمر، حمدت الله على تغيير
الإشارة لأن مختار بيه سوف يشتري منها المناديل ويلقي عليها
تحية الصباح لتمطره بالدعوات من كل شكل ولون، توقف مختار
ببيه وابتسم للسيدة العجوز أم محمد واشترى المناديل وألقى بعض
الجنهات في سلة المناديل وطلب منها الدعاء، وكعادة كل يوم
أمطرته بالدعوات وأنهتها بأن ينال ما في خاطره وباله.

ابتسم مختار بك وانشرح قلبه من آخر مقطع في الدعاء،
يارب يا أم محمد أنال ما في بالي اليوم. إن شاء الله تناله يا
مختار بيه بس ما تتسانيش ويكون لي الحلاوة.

طبعاً يا أم محمد أنتِ تؤمري، أي حاجة تطلبها أنا تحت
أمرك بس ربنا يستجيب لدعوتك ويتحقق اللي في بالي.

إن شاء الله يا مختار بيه، وأنا حلاوتي أنت عارفها من خمس
سنين من يوم ما عرفتنى وبدأت تعدي من الشارع ده وتساعدني
بشراء المناديل.

تقصدي المعاش ولا الحصول على شقة غرفة وصالة من
المحافظة.

الحمد لله إنك لسه فاكريا مختار بيه، يارب يكرمك ويحقق لك اللي في بالك النهاردة وتحقق لي ولو أمنية من الاثنين دول وخاصة المعاش لأنك قلت لي إنه سهل وممكن تساعدني فيه وهاتكلم حد تعرفه في المحافظة.

طبعاً طبعاً يا أم محمد، ما تقلقيش، ده طلب بسيط، ادعي لي بس، قالها وهو يتحرك بالسيارة بعد أن تغيرت الإشارة إلى الأخضر.

ظل بال مختار مشغولاً طوال الطريق يفكر في خبر اليوم الذي سوف يغير مسار حياته إلى الأحسن أو ينساه الزمن إلى الأبد فهذه آخر فرصة له للترقي على هذا المستوى الكبير، حدث نفسه بأنه متفائل بكل خير فأم محمد دعت له اليوم كثيراً عن دعوات كل يوم ومن أعماق قلبها خاصة أنه وعدها بتحقيق أمنيتها في الحياة وهي على الأقل المعاش.

نزل من سيارته وقلبه يرجف من القلق، ودلف إلى مكتبه منتظراً رنين التليفون وعليه صوت المسئول الكبير ليهنئه بالمنصب الجديد الذي ينتظره على أحر من الجمر، فوجئ مختار بيبك بتوافد الموظفين عليه يهنئونه بالخبر السعيد، ولم يصدق نفسه إلا وجرس تليفونه يرن والصوت المبجل يخبره بالخبر السعيد.

لم يصدق مختار بيك نفسه وطار من السعادة فقد تحقق حلم الحياة، وقضى يوماً مبهجاً بين موظفيه وكل منهم يحاول أن يثبت ولاءه لعله يكون صاحب حظوة ونصيب في العالم الوظيفي الجديد الذي سوف ينتقل إليه مختار بيك، أنهى العمل متأخراً لإنهاء الملفات المفتوحة ثم ملمم حاجياته وعاد بخبر العمر لأسرته ليقوم الاحتفال الكبير.

وصلت عربة المحافظة ليستقلها سعادة السكرتير العام وسلكت طريقها إلى مبنى ديوان المحافظة والستائر على نوافذ العربية لزوم الرسميات والأمن والأمان. وقضى أول أيام عمله في استقبال المهنيين وباقي اليوم من اجتماع إلى آخر حتى أنهى اليوم متأخراً وعاد إلى بيته بنفس عربة المحافظة.

وكعادتها كل يوم انتظرت أم محمد سيارة مختار بيه قادمة قبل الإشارة وهو يمد يده من شباك السيارة بثمن المناديل وبعوض النقود الزيادة ومعها ابتسامته الراقية وطلبه الدعاء لها، ولكن لم تأت سيارة مختار بيك لا في الصباح ولا في العودة، فقلقت عليه أم محمد كثيراً بعد أن مرت ثلاثة أيام دون أن تراه فسألت عليه ممن يسكنون حول بيته وعرفت أنه قد ترقى لمنصب كبير لا يعرفون ما هو ولكنه انتقل للعمل في المحافظة. فرحت أم محمد جداً بالخبر

وحمدت الله أن استجاب لدعائها في تحقيق أمنية مختار بيه بهذه السرعة ولعلها تحققت لكي يحقق لها هي أمنيتها التي طالما أخبرها أنها بسيطة فمؤكد أنه الآن يستطيع تحقيقها طالما يعمل في المحافظة فأكيد يعرف المسئولين الكبار هناك.

وصلت أم محمد أمام ديوان المحافظة ولا تدري ماذا تفعل فكيف تجد مختار بيه، فمؤكد أن هنا أكثر من مختار بيه وهل يا ترى يعرفونه هنا جيداً وهو منقول جديد، سألت الحارس الذي رد عليها بصعوبة، نعم يا ست لا يوجد هنا سوى مختار بيه واحد والذي انتقل إلى هنا الأسبوع الماضي كما تقولين ومكتبه في الدور السابع، اذهبي واسألي على الأستاذ مختار العربي، وقفت في الدور السابع أمام مكتب رئيس شئون العاملين كما دلوها، وبعد طول انتظار وإلحاح دخلت سمحوا لأم محمد بمقابلة مختار بيه، ولكنه لم يكن هو.

أنت مش مختار بيه اللي أنا عارفاه وعايزاه، هو واحد تاني، وبعد أن توصل الموظف إلى أوصاف مختار بيه الذي تقصده أم محمد فقط كحب استطلاع، ضحك وبخبت، هل تقصدي مختار باشا سكرتير عام المحافظ الجديد، أتعرفه شخصياً؟! أيوه أعرفه وهو يعرفني كويس، أنا عايزة أقابله، ضحك الموظف مرة أخرى

ونظر إلى أحد مساعديه والذي على الفور أخرج أم محمد من مكتبه وتركها دون أن يدلها على مكتب مختار بيك.

ظلت أم محمد تسأل يميناً وشمالاً عن مختار باشا حتى دلها أحد المنتظرين على مكتبه بالدور الثاني بجوار مكتب السيد المحافظ، ومشت إلى هناك متكئة على عصاها التي تأملت من صعود ونزول السلالم حتى وصلت أخيراً إلى سلالم الدور الثاني، وتنفست الصعداء وانتعش قلبها وشعرت كأن ليلة القدر قد صادفتها فهي الآن قاب قوسين أو أدنى أن تقابل مختار بيك صاحب الأمر والنهي هنا كما أخبرها المنتظرون من الجمهور، ولكن للأسف لم يسمح لها الحارس بدخول بهو الدور الثاني بحجة الأمن وبحجة عدم وجود ميعاد سابق وبحجة عدم وجود كارت شخصي وبحجة انشغال سيادته في أعمال واجتماعات مع السيد الوزير المحافظ، وعبئاً حاولت أم محمد أن تقنع الحارس بأنها تعرف مختار باشا جيداً وهو أيضاً يعرفها جيداً، وبعد أن رأى الحارس الدموع في عينيها والحزن يملأ وجهها رق قلبه وطلب منها أي علامة يستطيع أن ينقلها إلى سكرتير مختار باشا لعله يوافق أن يقابلها، قوله أم محمد بتاعة المناديل والدعوات الطيبة.

وبعد مجهود وإلحاح من الحارس وكأنه تبنى قضيتها وكنوع من المجاملة الوظيفية، وافق سكرتير مختار باشا في النهاية بأن تقابله بعد ساعة من الآن وعلى الواقف نظراً لانشغاله الشديد راجياً ألا يعاقب اليوم منه على تصرفه الجريء والغير محسوب هذا. انشرح قلب أم محمد ورقص على أمل اللقاء، وانتظرت وانتظرت حتى مرت ثلاث ساعات وما زال الأمل يرقص بين ضلوعها من شدة الفرح بأن تقابل مختار باشا. اتفضلي يا حاجة معايا ندخل سوا لمختار باشا.

وما إن رأته ودون أن تنتظر مختار باشا أن ينهض من على كرسيه الوثير أو يمد يده ليسلم عليها حتى أمطرته بدعواتها الطيبة التي تعودت عليها بل زادت عليها الكثير، نهض مختار بيك من على كرسيه وشكر أم محمد وطلب من سكرتيه الخاص أن يتركه معها لدقائق وطلب منها أن تجلس على الكرسي الذي أمامه ولكنها أصرت أن تبقى واقفة.

تحت أمرك يا أم محمد، خير.

أنت حضرتك عارف أنا جايا ليه يا مختار بيه، نفسي تحقق لي أمنيته على الأقل المعاش زي ما وعدتني وأنا يعلم ربنا دعلك من قلبي قد إيه علشان ربنا يرقيك ويزيدك، وأهه ربنا استجاب لدعوتي ويمكن بسببك ربنا يحقق أمنيته.

تحت أمرك يا أم محمد، بس أنتِ عارفة طلبات الناس كثير والدولة بتمر بظروف صعبة ومفيش ميزانية متوفرة اليومين دول للمعاشات وأول ما تيجي فرصة أنا تحت أمرك بس اكتبني طلب وسيبيه عند الموظف المسئول عن المعاشات في الدور الخامس.

بس يا مختار بيه أنت وعدتني إنك تساعدني وأنت دلوقتي المسئول وأنا المعاش اللي طالباه مش كثير دول حوالي ١٥٠ جنيه في الشهر يساعدوا مع بيع المناديل.

للأسف يا أم محمد، ظروف البلد صعبة ودي اللوائح والقوانين. مع ألف سلامة وما تتسيش تدعيلي.

إن شاء الله هادعيلك وكمان هادعي للبلد المرة دي يمكن ظروفها تتحسن وتديني معاش، ربنا ما يحوجك لحد يا مختار بيه ولا تكون بيع مناديل.

لملت أم محمد أذيال الخيبة وتوكتت على عصاها ومشيت بين صمتها الذي لفها حتى وصلت إلى المخبأ الذي تعيش فيه مع أحفادها وقررت ألا تباع مناديل حتى لا تباع دعواتها الطيبة. وعاشت أم محمد أياماً صعبة تقعات على ما تبقى من بيع المناديل ومن الجنيهاات التي كانت تجمعها لمثل هذا اليوم، ومر شهران وكادت أن تجوع وما زالت مصرة على عدم بيع المناديل بالرغم

من شدة الحاجة وإلحاح الأحفاد، ولكنها أبت وبشدة أن تعود لبيع
المناديل فقد كرهت أن تباع دعواتها.

وفجأة دق الباب لتفتحه على استحياء، إزيك يا أم محمد،
مبروك عليكى المعاش اتوافق عليه مبروك، أنتِ مش فاكراى.
لأ يا حبيبى أنت مين ومعاش إيه مش مختار باشا طردنى
بالذوق واتبرا منى، معاش إيه بقى.

يا أم محمد أنا الحارس اللي ساعدتك يومها واتحايلى على
السكرتير لحد ما دخلك لمختار باشا.

طيب إزاي اتوافق على المعاش بتاعى وأنا ماقدمتش الطلب
اللى قالى أسببه فى الدور الخامس عند موظف المعاشات.

أنا عارف يا أم محمد بس أنا اتعاطفت مع حالتك يومها
وعملت اللازم وقدمت طلبك من غير ما أقولك من المعلومات
اللى سببتيها عند السكرتير وتابعت الموضوع بعلاقتى البسيطة
هناك لحد ما خلص من غير ما مختار بيه ياخذ باله والكل
عارف إنك قريبتى.

يعنى أنا بجد اتوافق على المعاش وهاقبضه من الشهر اللي
جاي، الحمد لله ده أنا كنت خلاص مفيش أي فلوس لأنى ما
ببعيش مناديل من شهرين.

أيوه يا أم محمد، ودي الموافقة جبتهاك وهاتقبضي كمان من الشهر ده مش من الشهر اللي جاي، ويارب كده تكوني مبسوطه وما تحتاجيش لحد ولا تكوني بياعة مناديل.

شكراً يا ابني قوي، بس ممكن أعرف عملت كده ليه وأنت عارف ما عنديش حاجة أدبهاك.

أنا مش عارف أنا عملت كده ليه بس حبيت أساعدك وبقوة وبرضه مش عارف ليه، لكني مبسوط، إني عملت كده ومش عايز منك إلا الدعوات الطيبة ومنديل أشتريه منك كل يوم لما تنزلي للشارع تبيعي تاني.

سهلة يا ابني أوعدك أنزل أبيع مناديل تاني ولك مني كل الدعوات الطيبة لحد ما أموت. فعلاً إذا كان المثل بيقول اعمل الخير وارميه البحر أنا بقول قول الدعوات وارميها البحر.

وقررت أم محمد أن تعدل عن رأيها وعادت لبيع المناديل في نفس الشارع عند الإشارة وعادت لتوزيع دعواتها المجانية المخلصة لكل من يمد يده ليشتري المناديل، الدعوات التي لا تباع ولا تشتري. ولم تندم أم محمد على دعواتها لمختار بيه بل أصبحت أكثر حرصاً على الدعوات لكل الناس وكأنهم جميعاً مختار بيه، وآمنت أم محمد أن الدعوات حين تتحقق لا تتكرر لداعيها حتى

ولو تتكر طالبها، أبداً الدعوات لا تموت ولا تترمل بل تسري كالنسيم العليل في دائرة حتى تعود لصاحبها ليتنفسها ويحيا بها.

وعاشت أم محمد بين أحفادها وهي صاحبة العزة، صاحبة المعاش والدعوات لا تفارق لسانها حتى وافتها المنية وهي راضية بعد ثلاث سنوات وبعد أن دعت لمختار بيك كثيراً حتى بعد طلوعه على المعاش وشرائه المناديل منها مرة أخرى قبل الإشارة فيكفي أنه كان سبب المعاش.



obseikan.com

ملل المشاعر

«كل منا لديه غدد للمشاعر تفرز مشاعر في كل زمان ومكان ولكن أحياناً تجف الغدد من المشاعر أو تجبس المشاعر وأحياناً لا تدري النفس ماذا تفعل بالمشاعر؟ حينئذ تبحث عن إناء لتصب فيه المشاعر، ولكن للأسف تبحث بعيداً مع قرب الإناء منها».

وعلى آخر يوم العمل الذي امتلأ بأحداث منها ما كان يتوقعه ومنها ما فوجئ به كسيول من أمطار جارفة فجأة من سماء ليل صاف، شعر وكأنه امتلأ عن آخره بألواح من ثلج الوحدة التي تجمدت عليها حروف الكلمات في عقله وعلى أطراف لسانه، نظر إلى المكان من حوله فلم يجد إلا نفسه قابلاً بين أكوام الملفات المبعثرة على مكتبه وشاشة الكمبيوتر التي لم يطفئها بعد. انتابته حالة من الملل المغلفة بالوحدة فتملكه الكسل حتى أن يرتب الملفات أو يطفىء الكمبيوتر وأمسك بحقيبه بتلقائية دون أن يدري وقرر أن يترك هذا المكان الموحش الذي كان يعج منذ قليل بزحمة الناس ليجد نفسه دون أنيس يملأ عليه باقي يومه بعد انتهاء العمل.

قرر أن يمشي ويترك كل شيء على حاله حتى لا يزيد ترتيبه للأشياء وعودتها إلى حالها شعور الوحدة الذي كاد أن يجمد أنفاسه، قرر أن يسير على قدميه ويمشي بين الناس وحقيبته هي أنيسه. أعجبه الفكرة جداً وشعر أنه قادم على مغامرة الفرجة على البشر ليخرج من وحدته ويكون واحداً من الناس يحتمي بهم من شعور وحدة قاسية لم يشعر بها من قبل مثل اليوم، جن جنونه بالفكرة وقرر أن ينفذها وأن يترجم لغة شفاة الناس كما تعلمها أثناء دراسته دبلومة تخاطب الشفاة، قرر أن يفعل ليعرف ما يقوله الناس دون الحاجة بأن يسمعهم.

ألقي بعينه على شاب هناك يمشي الهوينة يتكلم مع شاب آخر يمشي بجواره، ترجم وترجم وسجل اعترافات الشاب لصديقه بمدى الوحدة التي يشعر بها بعد فراق أبويه وكيف أن العالم حوالبه تغير إلى النقيض حتى من أصحاب وأقارب والده، قرر أن يبعد عينيه عن شفتي هذا الشاب ويبحث عن غيره مخافة أن يزيد من شعور الوحدة لديه.

ألقي عينيه على طفل بين العربات يحاول أن يمسح زجاج بعضها في الإشارات وهو يتمم بشفتيه كلمات كادت أن تدمي قلبه فقرر أن يترك شفاة الطفل اليتيم ويبحث عن شفاة أخرى لعله يجد أحداً ما هناك لا يشتكي من قسوة الوحدة، بحث وترجم

كثيراً من الشفاه ولم يجد ما يصبو إليه، وبقدر ما حزن من هذا الشعور العام بوحدة الناس في دنياهم بقدر ما أدخل عليه بعض الطمأنينة فهو أيضاً ليس وحده الوحيد في هذا العالم.

أبعد عيناه عن كل الشفاه وألقاها ناحية السماء الواسعة حتى لا يشغل عينونه بشفاه البشر. حلق في الفضاء فوجد الشمس تغرب وحيدة والقمر قادم يطل على الشفق وحيداً، وعلى النجوم ليجد كل نجمة في دائرتها وحيدة. ماذا يعني هذا؟ أجبلت الحياة على الوحدة والعطاء دون شكوي؟ فالشمس وحيدة ومع ذلك تبعث بأشعتها كل صباح في كرم بالغ، والقمر وحيد ولكنه يرسل انعكاس أشعته برومانسية حاملة، والليل وحيد والنهار وحيد وكل شيء حوله يبدو وحيداً، تعجب من هذه الوجدانية التي تلف العالم ولكن كل جزء فيها يشارك بكرم وعطاء.

وهو ما زال يبحر في أفكاره ويقوي نفسه بشعور العطاء، أفاق على صوت قادم يصيح من هناك من جانب المسجد العتيق بمقام الشيخ المبروك، وحدوووووه. ابتسم وبتلقائية حرك شفثيه لتردد وجدانية الله ليشارك شفاة المارة التي قرأها هذه المرة وكأن شفاه العالم تجمعت في شفثيه اللتين اجتمعتا سوياً لتقص حكايات دواخل نفسه.

نظر هناك على جانب الشارع ليجد رجلاً عجوزاً يحاول
جاهداً أن يعبر الشارع، تقدم إليه مبتسماً وأمسك بيده وقرر
أن يكون ضيفه هذا المساء، استجاب الرجل بتلقائية وكأنه ينتظر
ذلك اللقاء منذ مولده، تأبطه بحنان ومشيا حتى وصلا إلى ركن
الحارة العتيق، وكانت أحلى الأمسيات التي شعر فيها بأنه توسط
ميدان نفسه والعالم كله يسمع شفتيه بأذان هذا الرجل العجوز
الذي ملأ عليه فضاء نفسه.

ومن بعد هذه الأمسية التي نقشت جمال الإنسانية في قلبه
قرر أن يكون مضيافاً، فما أحلى وحدة النفس عندما تشارك
الآخرين وحدتهم بعباء ولو بعيداً عن حبيبتة التي هجرته.



أمير على باب الله

«قد يسرق من الناس أمتعتهم وأموالهم وأوقاتهم،
وقد تسرق أجسادهم، وقد تسرق سعادتهم، وقد تسرق
كلماتهم، ولكن لا تسرق منهم أبداً أحلامهم في الحب».

بعد عناء يوم طويل وكأن عدد ساعات نهاره زادت عن الألف
ساعة، رجع سهيل إلى عشه البسيط المكون من حجرة واحدة
بها كل مكونات الحياة المتقشفة عن عمد بعد أن قرر أن يأخذ
أجازة مفتوحة من عيش الحياة الناعمة التي لازمته طوال عمره
الأربعين.

ألقى بجسده الفارع بمنكبيه العريضين على حصيرة الراحة
بركن الغرفة واضعاً رأسه على الأرض تجاه القبلة وقدميه على
جدار الغرفة ليريحهما من الإجهاد جراء السعي ذهاباً وإياباً في
المحجر حاملاً على كتفيه حصاد الصخور التي تم تفتيتها لبحث
فيها أهل المال عن الماس والذهب بعد تكسير الصخور المشتبه في
غنائها بهذه العناصر الثمينة.

ألقى سهيل بجسده المتعب على الحصيرة دون أن يعبأ بالتراب العالق عليها من أثر العمل في المحجر طوال النهار بلا توقف ما عدا ساعة الغداء التي يلتهم فيها ما يُسكت به صيحات معدته الخاوية مع كثير من الماء البارد الذي يلطف به حرور جوفه الملهب من حرارة شمس الصيف الحارقة، ألقى بعينيه إلى سقف الغرفة محدقاً في الأشعة الصادرة من لمبة الإضاءة في كل الاتجاهات لتتير ظلمة وحدته التي طلبها لنفسه بعد أن كان مجلسه مهبط الوزراء والشعراء ورجال المال والأدب والقضاء.

حدق سهيل في الأشعة التي يعجب بها كثيراً وبقدرتها على ذوبان الظلام وتلوينه بالضياء بلا ضجة أو ثورة أو شكوى من احتراق المصباح، تذكر كيف كانت هذه الأشعة هي السبب في تحويل مجرى حياته طواعية من الأمير المنعم إلى العامل البسيط المجد الذي لا يكل من العمل، ليس فقط ليكسر شوكة الإمارة في قلبه ولكن أيضاً ليتذوق طعم العمل الذي طالما قرأ عنه في القصص والروايات دون أن يتعرف عليه على أرض الواقع، تذكر كم ألهمه هذا الضياء الصادر من المصباح أن يترك مجالس الأمراء ويسيح في الأرض للعمل بين بسطاء الحياة يتعلم منهم ويتعلمون منه كيف تكون الحياة على البسيطة.

شتان ما بين ضياء مصباحه هذا وبستان المصابيح الكهربائية من كل شكل ولون التي كانت تزين حجرته أينما حل وأينما ذهب في قصر الإمارة الذي بناه له والده على شكل شمس تشع ضياءها في جوانب المدينة على هيئة بيوت الرعايا حول قصره الذي لا ينطفئ نوره ليل نهار، تذكر كيف كان ينظر إلى أشعة مصابيح قصره كلما نظر إلى سقف غرفته ليتدبر أمر ما فلا تلفت انتباهه ولا تأخذه عما يفكر فيه.

لكن سهيل تذكر جيداً هذا اليوم الذي خطفت هذه الأشعة انتباهه فجأة بعد أن انطفأت وسط الليل ولم يكن بجواره أحد يؤنسه فانتابه فزع روعه وملاً قلبه في لحظات قليلة حتى هرع إليه الخدام والحراس ليضيئوا له المشاعل حتى يتم إصلاح العطب الغير متوقع نتيجة لسيول المطر التي هاجمت المدينة ودمرت على غفلة الكثير من البيوت الضعيفة المبنية من الطوب اللبن.

كان يوماً عصيباً تحول فيه سهيل مرة من أمير مسالم إلى أسد يزار ومرة أخرى إلى قطة تموء والخدام لا يعرفون ماذا يفعلون في تصرفاته المتقلبة تلك وهو ينظر في أشعة المصابيح منتقلاً ببصره من واحد تلو الآخر ومحدثاً نفسه بصوت عال كيف تفعلين بي هذا أيتها المصابيح بأشعتهك التي تقطع وتمزق

عقلي الآن كسيوف نصلها ماضٍ! ولم يرتح الجميع إلا بعد أن ذهبوا عنه تنفيذاً لأوامره أن يتركوه مع نفسه ومع تلك المصاييح.

كم كان يوماً عصيباً تعلم فيه من تلك الأشعة حياة أخرى ومشاعر أخرى وعالم آخر اسمه الظلام الدامس القادر على بث الخوف والرعب في قلوب الأمراء. يتذكر كم شعر ساعتها بأنه ليس أميراً حقيقياً بل مجرد اسم لا يعرف من حقوق الإمارة شيئاً. ابتسم في نفسه وهو يتذكر أحداث الحلم الجميل الذي عاش أحداثه بعد أن خر على سريرته مغشياً عليه من الإعياء من طول النظر في مصاييح غرفته.

ورأسه ملقاة على الأرض بغبارها وقدميه على الجدار، ترك سهيل لعينيه العنان في استرجاع أحداث هذا الحلم الرائع الذي دارت أحداثه في سفينة في عرض بحر هائج تلاطمها الأمواج العالية من كل اتجاه والناس عليها في حالة رعب وخوف وهلع شديد من غرق السفينة وابتلاعها بجبال المياه القارصة البرودة دون أن يشعر بهم أحد.

وبالفعل هرع الناس إلى سطح السفينة في هرج ومرج طالبين النجاة والغوث ومعهم الريان ولكن بلا فائدة، ووسط اندفاع الجموع وجد نفسه ودون أن يدري فوق ربوة عالية ينادي في الناس

بصوت منخفض خاصة أنهم أنصتوا إليه مع أن صوته كان غير مسموع بالرغم من أنهم لم ينصتوا إلى الأبواق الأخرى التي تنادي من كل مكان بالتزام الهدوء والنظام.

تعجب سهيل أكثر عندما وجد نفسه وأيضاً دون أن يدري متوجهاً نحو كابينة قيادة السفينة وكأنه مأمور ولا يعرف من أمره وحوله ربان السفينة ومعاونيه ليفاجأ الجميع بهدوء البحر بمجرد أن بدأ في إدارة لوحة التحكم وكأنه ولد قبطان. وفي نفس اللحظة التي هداً فيها البحر هداً الناس وسطعت الشمس واحتفل الناس بفرحة النجاة وهللاوا ورقصوا وغنوا وأخذوه من يديه إلى سطح السفينة ليحملوه على الأعناق وهو غير مصدق لما يحدث.

تذكر تلك اللحظة الخالدة التي لن ينساها في هذا الحلم والتي يتمنى أن يعيشها ولو في حلم آخر ليحتسي حلاوة المشاعر التي عاشها كالدهر في تلك اللحظة التي وجد يديه حول كفين من حرير هما لهورية سكنها الجمال والحسن في كل مكان، في عينيها وشفتيها ووجنتيها وكفيها وأناملها الرقيقة، كادت يدها أن تذوب في كفيها وهي تضغط عليهما بحنان وقف له قلبه يعلن عدم قدرته على تحمل كل هذا الحسن.

فجأة انقلبت ابتسامته إلى امتعاض فجد عليهما عندما تذكر أن هذه اللحظة هي نهاية الحلم الذي كم تمنى أن يكمله حتى نهايته ليتنعم في جمال وحسن وحلاوة تلك الفتاة وحنان كفيها وليعرف من تكون ومن أين أتت وكيف له أن يعبر عن مدى إعجابه اللا متناهي بهذا الحسن الذي مؤكداً أنه كان السبب في هيجان وهدوء البحر بين انقلابها ورضائها عن النظر إلى موجه، كم تمنى أن يكون هذا الحلم هو الواقع، هو الحياة التي يعيشها بلا إمارة وبلا خدام أو حراس أو آلاف المصاييح، وكم تمنى أن يرى مثل تلك الفتاة ولو صدفة هنا أو هناك في قصره بين خدمه أو في شارع أو حارة في مدينته وإمارته فقط لتكون أميرته ويكون خفيها، فقط ليعترف لها بحبه لنظراتها وعشقه للممس حنان كفيها وجنونه بدفء أنفاسها التي هي شهيق كل المحبين.

تذكر سهيل وتذكر وتذكر دون أن يعي أن عينيه مازالت تحدد في سقف الحجر وهما معلقتين على أشعة المصباح الوحيد الذي يتوسط غرفته، فلم يشعر إلا وعينيه زائغتين من شدة ضوء المصباح فأغمضهما غصباً عنه ومن الإجهاد والتعب وترك النوم يتلاعب بهما يميناً وشمالاً حتى سكنت العيون تماماً في لحظات وهبطت قدماه من على الحائط ومالت رأسه المتعبة على الأرض وسقطت يدها بجوار صدره ووسطه تناجي الراحة وعلت وهبطت

أنفاسه بهدوء وسكينة في صدره وابتسامة عريضة تملأ شفثفه
وروحه معلقة في شوق إلى نهار يوم جديد .



obseikan.com

طرد الحياة

«الأب أقحوانة والأم ريحانة وإن قطفهما الموت تبقّى
رائحتهما المعطرة ملء الأنف والنفس حتى الممات، رائحة
تتجدد وتبدد عن قد تصنع الحياة».

الشمس حارقة وسط النهار كأنها تقف على الرءوس وتلهبها
بأشعة حارقة كأنها عقاب على كسل الناس وسخطهم على نمط
الحياة، هكذا وصف كامل منظر الناس من بعيد وهو جالس على
الأريكة الخشبية على جانب الطريق المزدحم بالناس والعربات
والعجلات وكأن الأرض جذبت الجميع على سطحها ولا يستطيعون
التحرك من شدة الزحام.

ابتسم كامل ابتسامة رضا ترسمها شفاه ساخرة، ابتسامة
رضا على أنه هنا ليس الآن وسط هؤلاء الناس المعذبون في
الأرض وسط هذا الزحام اللعين... وشفاه ساخرة على هذا المنظر
الفلكلوري الذي يحتاج إلى فنان لوحات سريرية بخطوط معناها
في الفوضى التي ترسمها والتي يعجز فنانو التشكيل على رسم
ألوانها وتفصيلها، ويجلس كامل بطريقة فيها عظمة وكبرياء وهو

يضع رجلاً على الأخرى وكأنه يشمت في تلك الجموع الحائرة في شوارع المدينة وهو هناك قابع يشاهد من بعد .

وفجأة وقف كامل وكأنه نسي شيئاً مهماً في وسط مشاهدته لهذا الزحام، نسي أنه ترك المنزل سريعاً ليذهب إلى مكتب البريد الذي بنهاية الشارع الذي به منزله ليتسلم طرداً قد علم به من الإشعار الذي وصله على البيت أمس، تذكر كامل ذلك مرتباً ومتمتماً في نفسه كيف يكون نسي ذلك، فهذا الطرد من الممكن أن يكون مبلغاً كبيراً من المال من والده الذي يعمل بدولة عربية منذ سنين، أو من الممكن أن يكون تأشيرة حلمه لدخول أوروبا والعمل هناك لتكون نهاية عذابه في السلسلة المريرة التي يتعلق بحلقاتها أملاً في أن تحط قدماه تلك البلاد البعيدة عن عينيه القريبة إلى خياله، وقد يكون الطرد خطاب شوق مع هدية من حبيبته التي هي الأخرى في الجانب الآخر من صعيد مصر حيث تعمل مترجمة للأفواج السياحية.. وقد يكون هذا الطرد خطاب قبوله في وظيفة النائب العام التي ما انفك يحلم بها ليل نهار ليكون ذا جاه وسلطة ومرتب كبير يعينه على غلاء الحياة ومتاعبها .

عندما تذكر كامل كل ذلك وما قد يجلبه إليه هذا الطرد أي جانب من جوانب السعادة التي ينتظرها انتابته حركة خفيفة لا

يقصدها بضربة بيده على جبينه ثم أطلق أرجله لتأخذ طريقها إلى المشي والانتقال من مكان الرصيف وهو مدرج المشاهدين والمتفرجين إلى الشارع الذي كان منذ دقائق يمثل مشهداً تمثيلاً حياً في حفلة عرض مجانية وهو المشاهد الملك الوحيد.

نزل الشارع مسرعاً مطلقاً رجليه كأنها محرك طائرة تحلق في السماء، وعندما انغرس وسط الجموع سمع هتافات كثيرة وأناشيد حماسية من الصغير والكبير فهم منها أن هذه الجموع ما هي إلا مظاهرات ضد الفساد، ولم يلتفت كامل لتلك الهتافات ولم يلق بها بالأحلى لا تشيه عن الطرد وظل يلهث في المشي متخللاً الجموع من الناس والعربات بطريقة بهلوانية حتى أصبح يتصبب عرقاً من جبينه وكأنه ويده شرع وجسده نحو مكتب البريد الذي به ذاك الطرد الذي ينظر إليه وكأنه طرد الحياة.

أخيراً وصل كامل مكتب البريد قبل ميعاد قفل الباب بدقيقتين.. فتنفس الصعداء وابتسم ابتسامة عريضة تكاد تتحول إلى ضحكة بها عظمة وكبرياء لتمكنه من الوصول إلى هدفه المنشود وهو طرد الحياة قبل فوات الأوان وقفل الباب وخاصة أن اليوم هو الخميس وهو آخر يوم من أيام شهر رمضان قبل الجمعة اليتيمة وأجازة العيد الطويلة.

ودخل كامل على شباك استلام الطرود واستلم طرده بإعجاب ورضى شديد ولم يستطع الإفطار حتى يعود للبيت ليرى محتوى الطرد ويسعد به ففتحه عن شغف ليرى أي طريق من طرق السعادة سوف يأخذه طرد الحياة هذا.. وفتح الطرد ليقرأ الرسالة التي تقول: «البقاء لله في والدك والذي ندعو له بالرحمة وندعو لك بالعزاء وعلى أن تقوم بدفع رسوم جثمانه إلى مصر بأسرع وقت ممكن وأن تدفع الدين الذي عليه لمكان العمل.. بوركت ابناً مثاليًا ودافعاً لدين أبيك».

هذه هي الرسالة التي قرأها كامل في طرد الحياة الذي أصبح في أقل من ثانية طرد الموت ونهاية الحياة لكامل فلا هو قادر على تحمل نفقات نقل الجثمان ولا هو يملك أيًا من دين والده رحمه الله.. ولا هو قادر على حمل أرجله التي كانت منذ دقائق منطلقة في الشوارع كمحرك طائرة، ويخر كامل على الأريكة في صالة الانتظار في المكتب البريدي ليصبح المشاهد والممثل الوحيد لرواية نسجتها أفكاره وأحلامه، بلا سند في واقع الحياة ليكون كامل رمزاً لمن يهوى مناجاة الحياة وهو جالس على أريكة.



موعد مع الذكريات

«يمر الزمان سريعاً ويتخطى الأمنيات تاركاً وراءه بقايا ذكريات تصحو وتنام لتلهي العقل وتلطف القلب عما فات، ويمضي الزمان ولا يعبأ وتنام الذكريات».

لم يدرك لماذا طرأت إليه فكرة الذهاب إلى قريته ومسقط رأسه هذا المساء مع أن جدول أعماله صباح الغد مشغولاً عن آخره، حاول أن يثني نفسه عن الفكرة ولكن لم يستطع بالرغم من أنه اعتاد وبسهولة أن يعتذر عن كثير من دعوات الزيارة من أصدقائه وأسرتهم وأقاربه بحجة انشغاله بالعمل، وأخيراً انقاد وراء قلبه وعقله اللذين اتفقا عليه ولأول مرة.

ركب سيارته وبتلقائية لم يشأ أن يستمع لكوكتيل الأغاني المسجلة على «الفلاشا» كما تعود بل أدار الراديو ليستمع إلى أغاني الزمن الجميل كما يسميه. تذكر كم كانت السعادة تملأ قلبه عندما كان يركب سيارته القديمة ويجواره زوجته وخلفه أولاده يتهايمسون مرة ويضحون مرة ويضحكون مرة وهو يقود السيارة وكأنه يقود العالم كله إلى بيت والده الذي كان يمثل كعبة

الأسرة وهو الحجر الأسود يتجمعون عند وصوله حتى ولو كانت هناك خلافات كبرى بين الجميع، كم تروق له هذه الذكريات وكم يتمنى أن يعود به الزمن إلى الوراء ليعيشها ثم يعود مرة أخرى إلى وحدته التي أخذته من كل من حوله سواء عن عمد أو بدون قصد.

الطريق إلى بلده مظلّم القيادة فيه ليلاً غير آمنة، إلا أنه استمتع بكل لحظة فيها تذكره بزيارات الماضي فقد كان هذا الشاب الذي يرى طريقه أمام السيارة بطموحاته وأحلامه فيشق الطريق بثقة كبيرة مع ابتسامته المعهودة والتي لا تفارق شفّيته، دمعت عيناه وهو يستمع إلى أغنية نجاة الصغيرة وهي تشدو «في وسط الطريق» ومن بعدها صوت فائزة أحمد الدافئ وهي تغني «بيت العز يا بيتنا». توالى الأغاني الجميلة ومنها أحضان الحباب لعبد الحليم وغيرها من أغنيات قديمة كل منها تذكره بموقف معين عاشه في قريته في سن الصبا وكأن الراديو هو الآخر اتفق عليه مع عقله وقلبه، راقت له كل الأغاني وندن معها حتى مع أغنيات عمرو دياب وإليسا وأصالة التي لا يحفظ الكثير من كلماتها، وأخيراً وصل إلى مدخل البلدة في ليلة دامسة الظلام.

وقف على أعتاب القرية وكأنه يقف على أعتاب الكعبة المشرفة ولطمته مشاعر لم يستطع وصفها . تعجب كيف لكل هذه المشاعر أن تتتابه مع كل نبضة لدمه لترفع قلبه إلى أم رأسه مع نبضة ثم تخفض به إلى قدميه مع نبضة أخرى، صحيح أنه قد غاب فترة طويلة عن البلدة، وصحيح أن له ذكريات الطفولة والصبا وبداية الشباب فيها والمفعمة بالأحداث المحفورة في قلبه وعقله وعلى نتوءات كثيرة على جسده، إلا أنه لا يعرف سبباً لهذه المشاعر المفاجئة والتي هبت على قلبه كرياح الخماسين تعصف به يميناً وشمالاً كعود قصب يقف وحده عارياً في حقل حل عليه ظلام دامس.

قرر أن يركن السيارة على مدخل القرية ويمشي دون أن يراه أحد حتى تكتمل لديه هذه الأمسية الزمنية التي تغوص بأحداثها في قلبه.

تغيرت القرية كثيراً وكبر الشباب وكبر الأطفال والصبايا وأصبحت القرية زحمة بالوجوه الجديدة التي لا يعرفها على الإطلاق والتي لم يعبأ بها فهي لا تختلف كثيراً عن تلك الوجوه التي يراها كل يوم في عمله أو في شوارع مدينته، رؤوس ملآنة بنفس الأفكار وإن اختلفت قليلاً في طريقة التعبير أو الزي.

استهوته فكرة تَبُّع الوجوه القديمة والتي يعرفها تماماً وكأنها
لم تفارقة طيلة ٣٥ عاماً عندما كانت تلازمه في العمل والفسح
والزيارات، كان من السهل التعرف عليها وإن بدت واهنة شاحبة
ولفها العجز فتمشي كأشباح وهي لا تدري.

لم يستطع أحد التعرف عليه نظراً لأنه غطى معظم وجهه
بشال يحميه من البرد بالرغم من أنه كان يتمنى أن يوقف كل من
يعرفه ليسلم عليه ويقول له لقد جئت اليوم من أجلك ولكنه أثر
التخفي ليستمتع بأصحاب الزمن الجميل عن بعد حتى لا يفسد
ود اللقاء الذي جاء من أجله ولو كانت حفنة من ذكريات الماضي.

تعجب كيف تكون الذكريات سبباً للشقاء أو السعادة، من
يتحكم في تلك النقطة الفاصلة بين هذه المشاعر وتلك عندما
تعصف الذكرى بالنفس، نظر إلى الناس الهائمين كل يحمل في
رأسه عالمه الذي لا يدري به أحد وإن بدت بعض ملامحه على
الوجوه والملابس والنظرات التائهة أو المريضة أو الباحثة عن شيء
ما لا تعرفه، وضع يديه في جيوبه ومشى الهوينة متطلعاً من بعد
على الناس وكله سعادة بأنه يمشي وسط الماضي الذي هَرَمَ جزء
كبير منه.

وفجأة وجد من يمد يده إليه بالسلام وينادي على اسمه
بحنان شديد: «إزيك، فينك من زمان، غيابك عمّر». توقف ونظر
إلى الوجه وإلى اليد ليرى من أين يأتي هذا الصوت المملوء
بالحنين والذي يعرف حروفه ونغماته بل يعرف الأحبال الصوتية
التي تعزفه، تملكه العجب وشهق شهقة التائه في الصحراء بعد أن
وجد طريقه مع شربة ماء، إزيك أنت، فعلاً عمّر طويلاً كان يمشي
بعيداً. مش معقول ألاقكي كده قدامي مرة واحدة في لحظة بعد
غياب هذا العمر.

ردت بدلال أنا وراك مش قدامك أنت اللي قدامي ومع ذلك
عرفتك من خطوتك، طيب ممكن أعزمك على أي حاجة ونتكلم،
للأسف مش هاينفع ولادي ورايا وأخويا جاي كمان شوية، توقفت
كلماته وسلم عليها وشدت في السلام ونظر في عينيها بعمق وتمنى
لها الخير على أمل أن يلتقيا مرة أخرى، ردت بعيون لامعة، اللقاء
نصيب، مين عارف، أشوفك بخير، ومع السلامة لأنني في زيارة
لأهلي وراجعة القاهرة في الصباح.

تركها غير مصدق ما حدث، أهذا هو الدافع الذي دفعه
دفعاً أن يأتي هذا المساء ليزور قريته دون أن يعرف السبب؟! ما
أحلاه من مساء وما أحلاه من دافع وما أحلاني أن أستمع لنداء

ذكرياتي لأقابل فتاة أحلامي، أقصد التي كانت يوماً ما أحلامي،
شعر بغصة في قلبه ورعشة بعقله على نسيان نفسه.

لم يكمل مشواره وأزاح الشال من على وجهه ليسلم على
أحبائه ويسعدون بلاقئه وعاد إلى سيارته وإلى مدينته التي أخذته
من كل شيء ورمته بعيداً في أدغال مزدحمة سرقت منه حبيبته
وعذرية أفكاره وبراءة مشاعره حتى أصبح مسئولاً كبيراً يرى
الناس كلها موظفين لديه.

أدار الراديو مرة أخرى على نفس محطة الأغاني ليجد أم
كلثوم تغني ودارت الأيام فابتسم ودندن وهاجت مشاعره واهتز
جسده بسعادة غامرة لم يعرفها قلبه منذ ثلاثين عاماً فقد ذكرته
زيارته ولقاء اليوم بأحلى الذكريات التي تمنى أن يسجلها صوتاً
وصورة ليشاهدها كل مساء. حينئذ فقط قرر أن يبدل دوره من
موظف في الحياة إلى موظف محب للحياة.



أحلام وراء القضبان

«خرج يجر أذيال خيبة الأمل بقدميه ويحمل الحسرة في عينيه يبكي أحلاماً كانت تطير في سماء واقع عقله وقلبه فاكتشف أنها ليس لها مكان تهبط فيه على أرض الحياة».

أصبحت الأرض مغطاة بأكياس مملوءة بالمناديل الورقية والساعات الرقمية وزجاجات العطر والمسك والأحذية الخفيفة وأشياء أخرى من كل نوع وصنف وشكل ولون ولكن كلها تشترك في صناعتها الصينية وثمرتها الرخيص، علت أصوات الصبية من الأولاد والبنات وهم في حركة دعوية ومنتظمة في الميدان الفسيح ذهاباً وإياباً في همة ونشاط على أمل أن يبيعوا أي من هذه الأشياء ليسدوا رمق معدتهم ولو بلقيمات بسيطة تغني عن التسول، أقبل دكتور فرحات من بعيد فهرع إليه بعض الأطفال عندما رأوه، فقد اعتادوا أن يشتري منهم بعض الحاجيات البسيطة ثم يداعبهم ببعض الكلمات وكأنهم أصدقاؤه المقربون ثم يلقي عليهم النصائح بالاستمرار فيما هم فيه دون أن يزدادوا نشاطاً ومسؤولية، يسعد الصبية كثيراً بقدوم د/ فرحات فهو الوحيد الذي نظم حياتهم ببساطة وأرشدهم أيضاً ببساطة على أعمالهم هذه.

الصبية في أعمار مختلفة يعملون متفرفين ولكنهم كتيبة تعرف أدوارها خاصة في تمثيل مشاهد العجز أو الحاجة أو المرض أو الانكسار، أسلوب تمثيلهم وتسولهم يدل على ذكاء فطري يبيث أشعته على المارة في الميدان فيلين قلبهم ويستجيبون لتسول الأولاد ولو بقروش قليلة، ومع إنكاره لما يفعله الصبية من تسول إلا أن د/ فرحات وجد فيهم سلبات الحياة بكل أنواعها وأسبابها، رأى فيهم العيون والقلوب والعقول والأجساد التي تاهت وسكنت الميدان بلا عنوان.

قرر د/ فرحات أن يعود إلى الصبية بين الحين والآخر يتعامل معهم لعله قد يغير سلوكياتهم فقد اكتشف فيهم طيبة ممطورة في شقاوتهم وذكاءً بائناً في طريقة تسولهم.

وبعد أن شعر د/ فرحات أنهم اطمأنوا إليه، عرض عليهم فكرته في بيع الأشياء التي يحتاجها المارة بالميدان وكما تتطلبه أوقات النهار وأن يعملوا سوياً وتحت إشراف أكبرهم وألا يعودوا للتسول مرة أخرى مهما حدث، ومع أن العديد من الصبية رفضوا فكرة د/ فرحات بل استهزئوا بها مراراً حتى أن بعضهم أصبح يتحرش به إلا أنهم في النهاية اتفقوا على تنفيذ الفكرة ليروا إن كانت بالفعل تغنيهم عن السرقة.

بعد عمل متواصل ووضع العديد من الأفكار والآراء المختلفة انتهى د/ فرحات من إعداد النسخة النهائية للمشروع بعد ما يقرب من شهر كان يطمئن على الصبية فيه من وقت لآخر. طرح المشروع على الجهة التي يعمل بها للموافقة واتخاذ اللازم للتنفيذ، جعل في المشروع دوراً مهماً لتنظيم عمل الصبية وكيفية تعاونهم ومظهرهم والتواصل الاجتماعي وإدارة عمليات البيع والشراء والتوفير وذلك من خلال دورات تدريبية قصيرة وطويلة الأمد. ولطرافة الفكرة والإبداع الفكري بخطواتها نال المشروع استحسان اللجنة المعدة لتقييم المشروع والتوصية بالدعم.

ملأت الفرحة وجه وقلب د/ فرحات فها هو قد أصبح قاب قوسين أو أدنى من الحصول على الدعم المالي للمشروع الذي سوف يقلب حياة هؤلاء الصبية رأساً على عقب في خلال أيام معدودة بعد اعتماد الميزانية المخصصة.

بمجرد أن أنهى عمل اليوم وسمع هذه الأخبار السارة كاد د/ فرحات أن يطير إلى الميدان الذي يتجمع فيه الصبية ليطمئن عليهم ويمهد لهم فكرة المشروع. ظل طوال الطريق يفكر في كيفية عرض الخبر عليهم ومدى رد فعلهم، يا ترى هل يستوعبون ما يقول وينفذوه كما يريد لمصلحتهم وليكونوا نموذجاً يحتذى به للميادين الأخرى المنتشرة في البلاد!!!

تغير الأولاد بالفعل نوعاً ما عما قبل، ولذلك فمؤكد أن المشروع سوف يوفر لهم الفرصة الأفضل لتحسين حالهم ويكونون بعيداً عن أيادي البلدية التي تتعقبهم والشرطة التي تطاردهم حيث يمثل الميدان الذي تعود هؤلاء الصبية العبث فيه تحد كبير للشرطة والبلدية والذين إن كانوا محقين لحفظ الأمان في الميدان فإن الصبية أيضاً يبحثون عن عيش الحياة.

اقترب د/ فرحات بسيارته من الميدان وقد وصل إلى صيغة بسيطة ليعرضها على الصبية تمهيداً لعرض المشروع بالكامل عليهم بعد ذلك، تصور كيف تكون فرحة الأولاد عندما يعلمون أن الهدف الأساسي للمشروع هو تحولهم من مرتزقة إلى فريق مهني محترف ومعترف به من البلدية والشرطة ليكونوا نموذجاً هو الأول من نوعه!!؟؟ ابتم د/ فرحات وانتشى وشعر أنه فارس مغوار اقتحم حلبة يتصارع فيها الحق مع الباطل فاستطاع أن يهدي أصحاب الباطل إلى الحق فتوقف الصراع إلى الأبد.

الميدان مزدحم والناس جماعات وفرادى يتحركون في كل الاتجاهات وهو لا يرى الصبية وسط هذه الجموع الكبيرة من متظاهرين يرفعون أعلاماً ويمسكون ميكروفونات ويهتفون بأعلى الأصوات وكأنهم يحاربون عدواً بالحناجر وهم لا يرون إلا خيالاته.

ازدادت الأعداد في الميدان وارتفعت الهتافات مدوية في حماس منقطع النظير يعلو ويهبط ويتشابك ويختلط كل بتوجهات مختلفة مع تراشقات وتصادمات كلامية وفجأة ساد الهرج والمرج بين المتظاهرين وهم يرددون عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية.. اندهش د/ فرحات من غياب الصبية فهذا هو وقت الذروة لأنشطتهم في البيع. اضطرب قلبه من الخوف أن يكونوا قد قاموا بأية حماقة خاصة أنهم لا يدرون شيئاً عن السياسة، بحث في الميدان يميناً وشمالاً بين جموع المتظاهرين دون فائدة فلم يجد لهم أثراً يذكر.

ووسط الزحام وجد طفلاً من الصبية مختبئاً تحت أحد المقاعد فجرى إليه وسأله عن باقي أقرانه فكان الرد مؤملاً والذي وقع عليه وقع الصاعقة فقد تم القبض على الأولاد جميعاً وهم الآن في قسم الشرطة دون أن يفعلوا أي شيء سوى بيع البضاعة للمتظاهرين أياً كانوا معارضين أو مؤيدين، كاد د/ فرحات أن يبكي من الألم بأن يقبض عليهم يوم فرحته وقدرته على انتشالهم من هذه الظروف القاسية وتحويلهم من مرتزقة إلى محترفين.

ذهب مسرعاً إلى قسم الشرطة ليسأل عن التهمة فما كانت تهمتهم إلا البيع بدون رخصة في الميدان وكانت المفاجأة الأخرى تهمة سياسية بالاشتراك في مظاهرات معارضة لنظام الحكم. حاول د/ فرحات أن يتدخل ولكن الوقت كان قد تأخر وتم ترحيل الأولاد إلى المجهول.

نظر د/ فرحات إلى ملف المشروع الذي بيده وإلى باب القسم الذي يؤدي إلى الميدان المزعوم وخرج منه يجر أذيال خيبة الأمل بقدميه ويحمل الحسرة في عينيه يبكي أحلاماً كانت تطير في سماء واقع عقله وقلبه فاكتشف أنها ليس لها مكان تهبط فيه على أرض الحياة.



الطريق إلى الوزارة

«يقولون: الناس معادن، وأقول: أصبح المعدن عملة

نادرة لا يصك...»

كالعادة دخل سامح بك بهو الديوان في شركة القطاع العام الكبيرة بمظهره المعتاد، أنفه لأعلى ووجه لا يرى إلا من أمامه وقدميه تضرب الأرض وكأنها له وحده، وإحدى يديه تمسك بنظارة الشمس التي لا تفارقه ليلاً أو نهاراً واليد الأخرى لا تترك جيب بنطلونه طالما أنه يقف أو يمشي أمام موظفيه.

مر سامح بك من بين طابور الموظفين المائل على الجانبين منتفخ الصدر مختالاً كأنه الطاووس الوحيد على اليابسة ومن حوله مجرد دبابير نحل من صنع يديه، انحنت الرؤوس احتراماً له ورددت بعض الألسنة همهمة التحيات الواجبة حتى انتهت مراسم الاحتفال اليومي وإلى أن دخل سامح بك مكتبه الوثير ووراء ثلاثة من مساعديه أحدهما يحمل حقيبتة والثاني يحمل أمانيه والثالث يحمل أوامره، وأمامه سكرتيرته الحسناء التي كانت تعمل لدى شخصية مهمة قبل أن تلتحق بمكتبه والتي لا تفارق مجلسه

وتحيطه بعناية لا يشعر بها إلا عندما تغيب عن العمل يوماً ما لظروف طارئة، وما إن وقف سامح بك أمام المكتب حتى أزاح له أحد مساعديه المقعد إلى الوراء ليجلس بتؤدة وهدوء وهو يلقي أوامره الباترة إلى مساعديه الآخرين لتنفيذ في التو حتى وإن كانت بعيدة عن الأهداف الرئيسية للعمل، انصرف الثلاثة مساعدين بعد أن أنهوا مهمة اليوم وكل يوم وبقيت السكرتيرة الخاصة لكي تعد له قائمة اليوم من الأنشطة والأوامر والنواهي مناسبة للعمل كانت أو غير مناسبة. ضحكت السكرتيرة ضحكة عالية ملأنة بالنشوة وضحك سامح بك ضحكة تغازل النشوة وبقي في المكتب لبدء برنامجه اليومي المعتاد.

بعد عدة دقائق على باب المكتب لزوم الاستئذان، دخل مدير شؤون العاملين والبسمة تملأ وجهه بل جسده كله.

أهلاً، ماذا عندك اليوم من أمور الموظفين؟

كله خير يا معالي المدير طالما أن سيادتك بخير فالكل لا يرجو إلا رضائك ولا يتمنى إلا أن يرى ضحكات بسماطك، حسناً حسن، اجلس واحك لي بالتفصيل عن أحداث يوم أمس فأذناي متشوقة إلى سماع كل صغيرة وكبيرة عن أحوال الموظفين لدي، بعد أن سمع ما طاب ولذ من أخبار خاصة وعامة عن موظفيه

أخذ يدخن غليونه استعداداً للمقابلة التلفزيونية عن أهم إنجازات الشركة ودوره كرئيس للقطاع.

بعد انتهاء التصوير طرق الباب الأستاذ منصور وفي يديه تقرير العمل عن أسباب الخسائر الهائلة التي تتكبدها الشركة هذا العام والذي عكف على كتابته منذ شهر تقريباً ليسلمه قبل أن يحال إلى سن المعاش الذي لم يبق عليه سوى شهور قليلة، وما إن رآه سامح بك إلا وصاح في وجهه، لم أطلب مقابلتك اليوم، ماذا تريد؟ أتريد أن تعكر صفوي في اليوم الذي أسجل فيه نجاحاتي على الهواء.

نعم، أنت لم تطلب مقابلتي سامح بك ولكني أطلبها لأن الشركة تمر بمصاعب جمة وتتكد خسائر فادحة من الممكن تداركها قبل فوات الأوان وقد جمعت كل المشاكل والحلول هنا في هذا التقرير الذي بين يدي كما تتطلب مني الأمانة الوظيفية. تباً لك ولتقريرك ولأتباعك من موظفيك الذين لا أريد أن أرى أحداً منهم هنا، اترك هذا التقرير وسوف أطلبك عندما أحتاجك، انصرف أستاذ منصور بهدوء غير عابئ بصوت سامح بك العالي ولا بفخامة المكتب الذي يجلس عليه ولا بالذي يجلس على المكتب، علي الفور دخلت السكرتيرة الحسنة المكتب ووراؤها

الثلاثة المساعدين ليهدهوا معالي رئيس القطاع بعد هذه المشادة مع الأستاذ الحانق منصور .

انتشرت إشاعة الإقالة المنتظرة لسامح بك وفتح تحقيق إداري معه بسبب خسائر الشركة سريعاً كالنار في الهشيم دون أن يدري عنها هو أي خبر، دخل سامح بك بهو الشركة وهو منتفخ الصدر كالعادة ولكنه فوجئ بغياب صف الموظفين على الجانبين لتحيته إلا من القليل ومنهم الأستاذ منصور الذي دائماً ما يقف هو وآخرون ليس لأداء التحية ولكن ليظهروا ما تحت أيديهم من ملفات مهمة تخص الشركة لعلها تنال رضاه لعرضها عليه .

وما إن دلف إلى مكتبه حتى صاح في مساعديه وسكرتيرته الحسنة أين الموظفون؟ أين عملائي المخلصون؟ أين التحيات والانحناءات والتبجيلات؟ أين حاشيتي؟ أين ذهب الجميع؟ وتحت تأثير غضب سامح بك وصياحه اضطر مساعده بإخباره بوجود إشاعة وصلت للجميع بأن معاليكم في محنة وظيفية قد تؤدي إلى تحقيق إداري .

وما إن سمع سامح بك ذلك حتى هاج وماج وثار منادياً على أستاذ منصور الذي مثل أمامه بكل هدوء نافياً التهمة التي ألقيت عليه في التو من معالي رئيس القطاع بأنه هو الذي وراء هذه

الإشاعة المغرضة ليتخلص منه، لم يصدق سامح بك نفي التهمة وظل يصيح متوعداً فانصرف أستاذ منصور بلا استئذان حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه بسبب الألفاظ النابية التي ملأت المكان ضجيجاً.

طلب سامح بك اجتماعاً طارئاً من الموظفين المخلصين لطاعته للتشاور في كيفية رداء هذه الإشاعة التي قد تؤثر بالفعل عليه وعليهم وخاصة ما يتقاضونه من مكافآت نظير الطاعة لمراسم الوظيفة، تبارى الجميع أثناء الاجتماع في الاقتراحات من هنا وهناك حتى وصل عدد الاقتراحات خمسة أضعاف عدد الحاضرين للاجتماع ولكن لم يقتنع سامح بك بأي منها وبدا مهزوماً ضعيفاً متوتراً كلما جالت بخاطره فكرة تحويله إلى التحقيق الإداري.

نهض سامح بك صائحاً وجليونه بين شفثيه يعضه قبل أن يدخله، أنضبت عقولكم من التفكير في مخرج لنا؟ أهذه هي كل مؤهلاتكم لدي؟ مجرد سفسطة كلامية وأشعار وأغاني مللتها، ألا يوجد بينكم رجل رشيد أعتمد على فكره وتدييره لينقذني وينقذكم؟ تباً لكم جميعاً، يا حسرتاه على ما أنفقته عليكم! سوف أترككم نصف ساعة أخرى للتفكر والتدبر حتى آخذ رأي

سكرتيرتي بهدوء لعلها تفلح، وأريد أن أرى حلاً صائباً بمجرد عودتي وإلا فلا توجد أية مكافآت بل عقوبات.

تحول الاجتماع إلى مشاورات ونقاشات جدية وكأن الجميع في حالة حرب دائمة وفي حاجة لرسم خطة المعركة واستراتيجية الهجوم ثم حاد النقاش عن الهدف وبدون وعي وتحول إلى كيفية إيجاد سبيل للدفاع عن مستقبلهم إذا لزم الأمر في حالة ما إذا تحولت الإشاعة إلى حقيقة بالفعل.

وما إن عاد سامح بك من الغرفة الداخلية الخاصة وبجانبه سكرتيرته حتى نهض الجميع ليتلو كل واحد منهم ما تفتق فكره عن حل عبقرى حتى ولو كان على حساب المصلحة العليا للشركة، فوجئ الجميع بسامح بك يلقي عليهم بلغناته وبنوبة غضب أشد من الأولى مستخفاً بكل ما قالوه واقترحوه، ساخراً منهم وصائحاً أنتم لا تصلحون إلا أن تكونوا طائعين منفذين لأحلامي وأوامري.

ارتعش الجميع طالبين العفو والغفران من سامح بك ببركة اسمه الذي هو على مسمى ولكنه لم يلتفت ولم يسمع فقد جن جنونه في كيفية الوصول إلى حل قبل أن تحل المصيبة من جراء مجرد إشاعة.

فوجئ سامح بك والجميع بدخول أستاذ منصور محاولاً للسؤال عن تقريره، وما إن رآه سامح بك حتى ثار في وجهه طالباً منه الانصراف فوراً فهو سبب كل المصائب التي حلت فوق رأسه والتي لا يجد لها حلاً، عبثاً حاول أستاذ منصور أن يشرح لسامح بك مدى أهمية التقرير ولكنه فشل فهمً بالانصراف، فجأة تدخلت السكرتيرة وبدون أن تستأذن من سامح بك وطلبت من أستاذ منصور البقاء وفض الاجتماع، لم يعلق سامح بك على الأمر الصادر من سكرتيرته والتي لم تلق بالاً بنظراته ثم سألت أستاذ منصور بطريقة تتم عن خبرة عالية اكتسبتها من عملها مع أكثر من رجل مهم منهم من يتمنى لسامح بك دخول السجن للتنافس في الحصول على كرسي في البرلمان أو الوزارة.

أرجو أن تعذر سامح بك يا أستاذ منصور، فهو فقط في أزمة نفسية جراء الإشاعة ويجب أن ننقذه منها قبل أن تتحول إلى حقيقة حتى لا نشمت فيه أعداؤه، ولكن يا هانم أنا حذرت كثيراً مما يحدث ومن يدري فمن الممكن أن يكون وراء الإشاعة خصم أو الحكومة نفسها .

ما إن سمع سامح بك كلمة الحكومة حتى انتفض من على كرسيه الوثير، ماذا تقصد بكلامك ؟ إنه يشبه الألفاظ، مفهوم أن

الخصوم وما أكثرهم هم أول المستفيدين من الإشاعة فماذا عن الحكومة؟ إنها ليست ألغازاً، الحكومة قد ترمي بالإشاعة قبل تحقيقها إما للتبويه وإصلاح ما فسد أو للتحضير لما هو آت وذلك بتهيئة المناخ العام للحدث.

كلامك معقول يا أستاذ منصور، اختيارك في محله سكرتيرتي العزيزة فطالما عبرت عن إعجابي بذكاء أستاذ منصور وفكره حتى مع اختلافي معه. أزدني يا عزيزي وقل لي كيف نخرج من هذه الأزمة ولك مني كل أنواع الحلوى الورقية منها والغير الورقية فاسمك فيه علامات النصر إن شاء الله.

أنا لست بحاجة إلى أي حلوى ولا أي إطراء، أنا فقط أقتضي واجبي حتى وإن لم يعد لي في العمل هنا إلا شهوراً قليلة واحتفظ بالحلوى لنفسك واسمعي فلعلك تعطيها لمن يستحقها بعد الآن ليدنو منك حلو الحياة.

نالت الفكرة التي اقترحها أستاذ منصور إعجاب سامح بك هو وسكرتيرته وتم تنفيذها في التو بسرية تامة، هرع الموظفون جميعاً إلى طابور الصباح كما كان كالمعتاد وأشد وعلى رأسهم يقف أستاذ منصور وتحت إبطية التقرير المهم.

مر معالي الوزير سامح بك المرشح للوزارة حسب الخبر الذي تناقلته الإشاعة بين عشية وضحاها وهو ينظر يميناً وشمالاً وهم يتهايمسون ماذا حدث لسامح بك في يوم وليلة؟ أيكون كرسي الوزارة المرتقب هو وراء تغيير الكبرياء إلى التواضع؟!

وما إن دخل سامح بك مكتبه حتى أسرع في طلب أستاذ منصور دون أن يلقي بالأمر بمدير شؤون العاملين المنتظر بالخارج المنهمك في مراجعة قصيدة يتغزل فيها في أحلام وأوامر معالي الوزير، دخل أستاذ منصور المكتب حاملاً على كفيه التقرير المهم ليضعه أمام سامح بك الذي أمره بتوقيعه على الفور ورفعته إلى معالي رئيس الحكومة للأهمية القصوى بعد أن عكف على دراسته طوال ليلة أمس.

ابتسم أستاذ منصور مداعباً سامح بك، شكراً لك سيدي لمساعدتي في تحقيق ما كنت أصبو إليه لخدمة عملي، الآن أنا فقط سامح وأنت منصور إن شاء الله.

لم تمض سوى أشهر قليلة حتى قرأ أستاذ منصور وهو يستمتع بقراءة الجرائد في يوم جديد من أيام حياة المعاش الهادئة خبر اسم معالي الوزير سامح بك من بين أسماء التشكيل الوزاري الجديد.

ولم يفاجأ أستاذ منصور حين أتته مكالمة من مكتب الوزير
وبصوت الوزير الشاب يهنئه على الوزارة فهو الوزير الحق الذي
تخطته الوزارة.

ضحك أستاذ منصور ناصحاً، مبروك سيادة الوزير على وزارة
بلا بطانة أو نفس أمارة، ضحك الوزير قائلاً أستاذ منصور أرجو
أن تقبل أن تكون مستشاراً لي في الوزارة فأنا في حاجة إلى مزيد
من التقارير لأعوض ما فاتني من خسارة، لك ما طلبت يا سيادة
الوزير وعقبال رئاسة الوزراء.



إنتيرفيو صاحب السعادة

«أدوار الناس لا تُبدل؛ لأنها موصولة بإرادة السماء»

بعد أن ارتدى زيَّ البسيط الذي لا ينم أبداً عن مركزه المهم، أخذ فوزي كرسيًا قديماً ليجلس أمام شاطئ البحر بالمدينة الساحلية التي وجد فيها مهرباً من تلاطمات الأفكار التي تموج برأسه بعد أن زهد كل ما حوله. نظر حوله يميناً وشمالاً فلم يجد هناك أحد سوى رجل يجلس مثله على كرسي هناك ولكن بزى يعكس مدى ثراء الرجل، تعجب فوزي من الرجل فالجلوس على الشاطئ يحتاج إلى ملابس «كاجوال» وليست رسمية وغالية الثمن بهذا الشكل المفرط فيه، أزاح عينيه بعيداً عن الرجل وتركه في شأنه ليستمتع هو بهذه اللحظات الفريدة التي لا تتوفر كثيراً لمن مثله، أمسك بترمس الشاي الذي جلبه معه وبعض ساندوتشات الجبنة وبدأ يتناول عشاءه بمزاج عال فقد زهد في كل الأشياء إلا راحة البال التي يحاول أن يعيشها الآن، ومع كل لقيمة ورشفة من الشاي ترك لعقله العنان يعبث كما يشاء بأموال أفكاره.

وأول ما جال بعقله صراعات كان يعيشها بطولها وعرضها حتى الماضي القريب، صراعات وظيفية جعلته لا يشعر بالسنين وهي تتقلت من عمره دون أن يشعر. صراعات أخذته من نفسه وصحته وهواياته وأهله ولكنه أصر على خوضها حتى النهاية لينال المنصب الذي يحلم به ليل نهار ويتقرب إلى الله ليلاً والناس نيام ليناله، وبعد أن تكالبت عليه لكلمات الصراعات وأصابته بكدمات فكرية، قرر أن يبدأ صفحة جديدة في حياته بعيداً عن المناوشات الخفية وقريباً من قرارات تنجز وترتقي بمؤسسته الكبرى التي تمنى دوماً أن يبحر بها بين أمواج التميز بغض النظر عن حصوله على المنصب الجديد أم لا .

ورويداً رويداً وجد نفسه محشوراً بين أكوام المنازعات والمشاكل والشكاوى التي لا تغني ولا تثمن من جوع، أحاطته مشاعر التلذذ بالنفاق والرياء والمداهنة والمجاملات والمحسوبية وأبعدته عما كان يحلم به من تميز، كره المنصب وكره التميز وكره التملق وتملكه شعور بالزهد في كل ما يملك بعد أن ملك كل ما كان يريد، وهنا فقط تولدت اللحظة التي قرر فيها أن يزهد في كل ما ومن حوله وأن يهرب عن كل هذه الأجواء بزهده إلى مدينته الساحلية على هذا الشاطئ في هذا السكون والوحدة التي لا يشاركه فيها سوى هذا الرجل الذي يبدو غريباً في هيئته التي يبدو فيها طاووساً على شاطئ من الرمل .

وبعد أن أنهى عشاءه الفكري بساندوتش الجبنة ورشفات الشاي أزاح الكرسي بعيداً ونهض وقرر أن يمشي في مياه الشاطئ حتى يصل الماء إلى كتفيه لعل ملوحة البحر تذيب ما علق في قلبه من كره للأشياء وتُركز فيه زهده للحياة حتى يعود إلى ممارسة أعمال منصبه بروح جديدة وفكر جديد بعيداً عن كل مظاهر النفاق والمحسوبة المقننة. ارتاح كثيراً إلى الفكرة وشعر بنفسه طفلاً يتفحص ذاته لأول مرة بعيداً عن الناس ليكتشف في نفسه أمواج العدل والرحمة وحب الناس والفكر المبدع الحر.

ومع كل خطوة تقربه من المياه اكتشف فوزي في نفسه إنساناً آخر، إنساناً اتسع صدره باتساع البحر، وصفاء مشاعره بصفاء المياه، وغناء أفكاره بعدد أمواج البحر، ونبته المتدفقة كنية البحر في جريانه وحمل هموم الناس، تعجب أين كان كل ذلك وكيف لصراعات الحياة أن تخفي في النفس أنقى وأجمل وأرقى ما تملك، وكلما زادت خطواته تجاه البحر زاد نقاؤه وزاد زهده وزادت راحة باله الذي أصبح بعمق وصفو المياه، وما إن لمست قدماه مياه الشاطئ حتى شعر بأنه ناسك مقبل على صلوات مع ربه لم يصلها من قبل صلوات صاحب المنصب الزاهد في صراعات الحياة.

نظر فوزي يميناً وشمالاً قبل أن يخوض في مياه البحر فوجد نفس الرجل القابع على الشاطئ هناك ينزل البحر هو الآخر بملابسه الرسمية والغالية وهيئته المبالغ فيها، تعجب من هذا الرجل وتصرفه وشعر بأنه يتعقبه وجاء ليفسد عليه مظاهر الزهد والصلوات المقبل عليها لتزيده نقاءً وتقرباً من الله. نظر إلى الرجل ملياً فوجده غير عابئ بنظراته بل مازال مستمراً في المشي في المياه بملابسه المتأنق فيها، أثارت هيئة الرجل وتصرفاته شكوكه فقرر أن يذهب إليه ويحدثه عن أمره فهو يبدو خارجاً عن قواه العقلية.

فوجئ فوزي بالرجل هو الآخر ينظر إليه متعجباً عندما وجد فوزي يبدأ المشي في المياه، وقبل أن يهجم فوزي بالذهاب إلى الرجل فوجئ به هو الآخر قادماً نحوه. مشى كل منهما تجاه الآخر وفي صدرهما سؤالاً كبيراً، يا ترى ما الذي يدفع رجلاً آخر غيري في هذا الوقت المتأخر من هذا الليل البارد من المشي في الماء؟! وتقابل الرجلان وعيون كل منهما معلقة على عيون الآخر.

وبعد برهة من النظرات المتبادلة فوجئ الرجل بملامح يراها كثيراً في الجرائد والمجلات والتلفاز، ملامح رجل يعرف أنه مهم واقف أمامه الآن بملابس رثة وقدميه عارية في المياه، بتعجب بادر الرجل فوزي، هل أنت فوزي باشا الذي نقرأ أخباره أم شبيهه له؟!

فوزي: نعم، هو أنا.

الرجل: وما الذي دفعك أن تأتي هنا إلى الشاطئ وحيداً
وإلى المشي في الماء الآن هكذا.

فوزي: أنا رجل وكما تعرف ذو منصب وجاء، أثقلت صدري
هموم المنصب وصراعاته وفتنته وماله وبعديتي عن نفسي وراحة
بالي وإبداعاتي فجئت هنا زاهداً في كل شيء حولي لأنهل من
اتساع البحر وألتمس فيه الهدوء والعودة إلى نفسي وإلى منسبي
بفكر وقرارات جديدة بعيداً عن كل الملوثات، أو لأتركه إلى الأبد
وأرتاح ويرتاح مني المنصب.

الرجل: حسناً ما فعلت فوزي بك، فعندما رأيتك عن بعد
حسبتك فقيراً لا تملك شيئاً فجئت تناشد البحر وتمشي في
مياهه لعل الرزق الساكن فيه يباركك ويطولك.

فوزي: وأنت ما دفعك للمشي في الماء الآن وبهذه الملابس
الأنيقة.

الرجل: أنا رجل هدته هموم الفقر والحاجة فزهدت الفقر،
وزهدت شظف الحياة، وزهدت الحرمان والأمنيات الميتة والأحلام
الهاربة من أسباب الوساطة والمحسوبية والنفاق والرياء، فقررت

أن أشتري بكل ما أملك هذه الملابس التي تمنيت دوماً أن أرتديها
وأنا ذو مال ومنصب وجاه، وجئت هنا لأكون وحدي مع البحر
أغتسل من حياة الزهد والفقر والحرمان لعل مياه البحر تباركني
وأنا في هيئتي هذه ولعلي أعود رجلاً آخر مملوءاً بحياة العز
والجاه.

ابتسم فوزي: جئنا نمشي على البحر والبحر يتسع لكل
الهموم. جئت أنا زاهد في المنصب والمال والجاه وطالِباً لنشظف
الحياة، وجئت أنت زاهد في الفقر والحرمان وطالِباً للمال والجاه
والسلطان.

ضحك الرجل: فلنتبادل الأدوار.

ضحك فوزي: الأدوار لا تُبدل لأنها موصولة بإرادة السماء.

الرجل: إذاً فلنبدل الملابس الآن ومعها ولنبقي الأمنيات
للسماء.

قضى الرجل مع فوزي أمسية رائعة تسامرا فيها طوال الليل
حتى دمعت العيون من الانبساط واتساع راحة البال وهدوئه ونقل
الرجل على صفوها مهاراته وشهاداته وخبراته وأمنيته الوظيفية،
عاد فوزي بك إلى منصبه بروح جديدة انعكست على بهو المكان

وعلى من حوله وأصبح قادراً كل صباح أن يمشي على الأرض كما كان يمشي في الماء مغتسلاً من كل فتن وملوثات المنصب.

وفي نهاية الأسبوع كان آخر لقاء، مقابلة مع متقدم لوظيفة مدير مكتبه كان قد أعلن عنها منذ عودته، نهض ليُحَيِّي المتقدم فور دخوله من الباب، وإذ به يجده أمامه بابتسامته العريضة وبنفس الهدام الذي رآه فيه على الشاطئ وهو يمشي في الماء. فوزي: أهلاً يا رجل، ظننتك نسيته ونسيت الشاطئ والأمنيات.

الرجل: وها أنا ذا تقدمت لإحدى أمنياتي وجئتك بزي الأمنيات.

ابتسم فوزي: إذاً لا داعي للإلتيرفيو فقد عقدته معك على شاطئ البحر واجتزته بنجاح. أهلاً بك في مؤسسة الحياة لتكون أول موظف وساطته مؤهلاته التي شهدت عليها مياه البحر ورمال الشاطئ.

شد الرجل على يد فوزي، هنيئاً لك بزهد فتن الحياة، وهنيئاً لك بمنصبك الجديد، فقد اجتزت الامتحانات بنجاح، أما أنا فلا أحتاج للوظيفة، فأنا رقيب على الوظائف وأصحابها.

تلعثم فوزي بك وفوجئ بمكانة الرجل الخفية، ولكن سرعان
ما تهلل وجهه من المفاجأة وأسْرَّ في نفسه، نعم الزهد مفتاح
النجاح، والنجاح قد يُكتب على الشاطئ.



جائزة آخر العمر

«من منّا لا يحتاج إلى الآخر ولو فاتته الحياة...»

بعد أن سمع عن الجائزة الكبرى التي أعلنت عنها الدولة لأصحاب الإنجازات، قرر أن يتقدم لهذه الجائزة لعلها تغير حياته الباقية معنوياً واجتماعياً مع أولاده وأحفاده بالرغم من وصوله عمر السبعين، فقد وجدها فرصة سانحة ليرى أولاده، وكانت الوسيلة لدعوتهم هي أن يعرض عليهم فكرة تقدمه للجائزة. وبعد عناء طويل وافق أبناؤه على دعوته الذين أتوا على استحياء بسياراتهم الفارهة بعد أن وعدهم بمفاجأة كبيرة.

أخذ موقعه على قائمة طاولة السفرة والكل حوله مشغول بالمفاجأة فمنهم من يهمهم مع نفسه ومنهم من يهمهم مع من بجانبه حول طبيعة المفاجأة الكبرى التي بالطبع أتوا من أجلها، بابتسامته الواسعة المألنة بالثقة، طلب من الجميع بصوته الهادئ، بنغمة فيها خيلاء لم يشاهدوه عليها من قبل، ألا يغادروا منضدة الطعام حتى يعرض عليهم المفاجأة.

وما أن أعلن عن الجزء الأول من مفاجآته وهو نيته للتقدم للجائزة الكبرى حتى أظهر معظم الأبناء تمللمهم ولم يلقوا لحديثه بالأبل بدأ الكثير منهم يترك الطاولة كمرحلة أولى من الاستئذان من الاجتماع فكفى تعطيل مصالحهم اليوم الذي لم يسفر عن شيء مرضٍ سوى سماع هذا الهراء الذي لا يثمن ولا يغني من مال.

استمر الأب في عرض المفاجأة بحماس غير منقطع بالرغم من انشغال الكبار في مناداة الصغار ليستعدوا لمغادرة المكان، تحول الجمع إلى ساحة من الفوضى المنظمة فقد تركه معظم أبنائه يتحدث لنفسه وكأنه قد أصابه الجنون؛ ولأنه يعلم تماماً تأثير الجزء الثاني للمفاجأة على نفوس أبنائه، استمر في حديثه والابتسامة الواسعة تحملها ملامح وجهه بثقة وخيلاء.

ومع أن الحصول على الجائزة يا أبنائي ويا أحفادي يمثل تكريماً أدبياً ومعنوياً لي كبير خاصة بعد الإنجازات الكبرى التي قدمتها طيلة مشوار حياتي، إلا أن المبلغ المالي الكبير الذي سوف أحصل عليه هو الأهم فسوف أقدمه لكم تعويضاً عن عدم قدرتي على ترك أي إرث لكم سوى تعليمكم الذي بذلت فيه الغالي والنفيس.

وما إن سمعوا كلمة المبلغ الكبير وبأنه هدية منه لهم حتى
تسمروا في أماكنهم ورجعوا إلى طاولة الطعام مرة أخرى وآذانهم
لا تبرح شفثيه، نسوا الأولاد ونسوا كل شيء وتذكروا فقط المبلغ
المالي الكبير، ويا ترى كم هو المبلغ الكبير يا والدنا الحبيب؟!

ابتسم الأب بابتسامة تسكنها شفقة على نفسه وعلى أولاده
وأحفاده ثم أردف، لا تقلقوا فالمبلغ كبير جداً يكفي لكل منكم أن
يحقق طموحاته المالية.

اتسعت أفواه الجميع وسال لعابهم المادي على المنضدة وفي
سيل التودد إليه والإطراء في مدح أبوته وحنانه وكيف أنه الأب
الذي لم ولا ولن وجود الزمان بمثله، وما هو المطلوب منا يا
والدنا الحبيب حتى نساعدك في الحصول على هذه الجائزة
الكبيرة لتقر عينك وتحقق آمالك الأدبية.

وبصعوبة نهض الأب من على كرسيه وهو يتكئ على عصاه
التي تلازمه ولا تفارقه أبداً لتحفظ له توازنه حتى لا يقع في
وحدته التي تملأ عليه أركان البيت، لا عليكم فأنا قد رتبت معظم
الأوراق ولم يبق إلا تقديمها بعد ثلاثة أشهر من الآن بعد أن أكون
قد أنهيتها تماماً، فقط أريد منكم الدعاء والاهتمام بي على
الأقل حتى ميعاد تقديمها.

بالطبع يا أعز الناس، سنعيش تحت قدميك وسوف نتقاسم نحن الخمسة مع أولادنا الاهتمام بك والإقامة معك هنا ولن نتركك بمفردك مهما كانت مشاغلنا في الحياة، وكلنا أسف على تقصيرنا وعدم اهتمامنا بك من قبل، وعذرنا هو عنفوان الحياة الذي أخذنا منك تماماً ونرجو أن تقبل تأسفنا فسوف نعوضك تقصيرنا.

دخل الأب غرفة مكتبه التي يعيشها في بيته الكبير الذي تسكن الوحدة أركانه، وأخذ يقلب في أوراقه القديمة المملوءة بذكرياته العلمية والأدبية والاجتماعية وقطرات الدموع تتساقط من عينيه، وفرحة كبيرة ملأت نفسه ولكن بها غصة تعض قلبه الضعيف بعد أن استطاع أن يجد سبباً واهياً يقنع به فلذة أكباده الخمسة وأحفاده بأن يأتوا إليه حتى لا يفارق الحياة وحيداً بعد ثلاثة أشهر من الآن بسبب المرض اللعين كما أخبره الطبيب.

وبعد شهرين مات الأب على كرسيه في مكتبه ويديه متعلقة بصور ذكريات الزمن الجميل مع أطفاله، وخارج المكتب بعض الأولاد والأحفاد في الخارج مازالت قلوبهم وعقولهم متعلقة بالفوز بالجائزة الوهمية.



بكاء الحجر

«وطني، عندما أقرر الرحيل عنك، فسوف تكون هجرتي إليك، لتحميني من نفسي للأبد عينيك».

انخرط في بكاء شديد اهتزت بسببه الكاب الذي يرتديه ليحميه من هذا القيظ الذي جعل الأفكار في رأسه تغلي وتتبخر حتى عجز عن التفكير والوصول لخيار أو قرار عقب سماعه هذا الخبر، ومازالت عينيه تذرف دموعاً ساخنة بفعل سخونة الموقف وسخونة قيظ الأرض تحت قدميه والسماء العارية فوق رأسه، نظر عيسى حواليه فلم يجد أحداً هنا من زملائه فقد ذهبوا دون أن يدري فقد حل منتصف النهار ووقت الراحة وساعة الغذاء، هل أنسى ما حدث وأذهب لألحق بالجميع حتى لا يقلقون عليّ وحتى لا أقع تحت طائلة تساؤلاتهم الملحة أم أبقى هنا لمزيد من التفكير في هول ما حدث ولا ألقى بالأبمن حولي؟!

قرر عيسى أن يبقى وسط الصحراء القاحلة وحيداً بعيداً عن الجميع ليسمح لعينيه أن تذرف دموعاً غالية لا يمكن لأحد غيره أن يراها ويرى عينيه الباكيتين، ومع كل دمعة تساءل عيسى

لماذا وكيف حدث ما حدث؟ أهو بفعل فاعل دبر له منذ زمن
أم هي أحداث الحياة التي تأتي غفلة دون أن نحسب لها أي
حساب فتقلب حياتنا رأساً على عقب وتحت مشاعرنا ولا
تتركها إلا وهي كنتف ريش غير قادرة على تحمل ولو قيد أنملة
من المفاجآت الغير سعيدة بالحياة؟!

لم يدر عيسى بنفسه إلا وهو بين زملائه بعد أنهاوا مراسم
الراحة والغذاء وصيحاتهم تملأ السماء قاضين بضحكاتهم
ونكاتهم على بعضهم البعض وكأنهم ينتقمون في همزاتهم عن عمد
من شظف الحياة وحرارة الشمس وقيظ النهار والمعدات الثقيلة
التي يحملونها على صدورهم وعلى ظهورهم طوال اليوم، ولحسن
حظ عيسى لم يلحظ أحد من رفاقه الجنود آثار مجري دموعه
على خديه فقد نفذ الدمع من غدده الدمعية بعد أن بكى كل ما
لديه من دمع وبعد أن جففت حرارة الشمس مجرى الدموع.

لم يلحظ أحد من زملائه الحزن القابع تحت أديمه وفي
مقلتيه والذائب في عرق كفيه والمخبأ تحت قدميه، فعيسى لديه
قدرة فائقة أن يتحكم في حزنه ويخفيه في مكان ما في جسده
وتحت ملامح وجهه وتضاريس وجنتيه، فهو الجندي الملتزم الذي
يُضرب به المثل بين زملائه في قوة التحمل والصبر والشجاعة

والإقدام المغلف بابتسامة طبيعتها الحياة على شفثيه ورسمتها
ريشة جينات والديه في عينيه.

لم يلحظ أحد من زملائه حجم الكارثة التي أحلت به وكادت
أن تميد بعقله وقلبه وجوارحه لولا أنه تدرب على الحزن مرات
ومرات بعد أن رحل والديه عن الحياة فور تخرجه من كلية الهندسة
وقبل أن يلتحق بالجيش وبهذه الكتيبة من القوات الخاصة هنا
على حدود الوطن وبعيداً عما بقي من الأهل هناك، انخرط
عيسى وسط زملائه لإنهاء وقت التدريب اليومي قبل أن يبدأ في
تنفيذ الأعمال المكلف بها اليوم من حراسة لنقاط ساخنة على
الحدود بين المتربصين داخل وخارج الحدود.

ومع أن الجميع لم يلحظ حزن عيسى الدفين بسبب رباطة
جأشه وبسبب انشغالهم بأدوارهم العسكرية التي يجري فيها
قضاء الله بالحياة أو الموت، إلا أن قائدهم لاحظ حزنًا يطل من
كل خلية في أديم عيسى وتتبع جذور هذا الحزن الذي امتد إلى
حجرات قلبه وبنات عقله، وفي خلال دقائق وبمهنية عالية أنهى
القائد التدريب وصرف جنوده ليستلموا مهامهم القتالية والدفاعية
على نقاط التفتيش والحراسة والدورية ثم نادى عليه، ماذا بك يا
جندي عيسى؟

تمام يا افندم، مفيش حاجة يا افندم.

لكني أرى أكواماً من الحزن فوق كتفيك وأنهاراً من الدموع
المجمدة في مقلتيك، أنا أعرفك يا عيسى كما أعرف رمال هذه
الصحراء حبة حبة، وكما أعرف أجزاء هذه البندقية التي على
كتفك جزءاً جزءاً، أعرفك يا عيسى كأخ أكبر لك وكقائد يقرأ
ويكتب جنوده ويملي عليهم، ماذا بك يا عيسى؟ ماذا حدث لك
فجأة وجعلك لا تأتي معنا إلى الراحة والغذاء مع أننا جميعاً كان
يتلاعب بنا الجوع.

أنا تمام يا افندم، وجاهز سيادتك لأي تكليف لأي مهام قتالية،
أنا فقط أردت أن أخلو بنفسي وقت الراحة لأريح القلب والعقل
وسط هذا الخلاء قبل انخراطنا كعادتنا اليومية في الحراسة
والتفتيش حتى آخر المساء.

وبصرامة عسكرية: جندي عيسى، بالأمر العسكري أخبرني
عن سبب جمود عينيك وجفاف الابتسامة على شفتيك والحزن
الذي يجري في وجنتيك، نفذ الأمر يا جندي.

رفع عيسى ساعده لأعلى بسرعة وبثبات وبقوة لتلامس
أنامله جبهته ليؤدي التحية العسكرية لقائده قبل أن ينفذ الأمر
ويقص عليه الخبر الذي نزل عليه كالصاعقة من قضاء السماء

فشلّ عضلات فكره وهو الجندي المميز في جنود فرقة الصاعقة
بالذي لا يقهر.

نهض القائد عندما لاحظ مدى تأثر عيسى بما هو قادم
من تنفيذ الأمر العسكري ونظر في عينيه وأمسك بكتفيه ليشد
من أزره، وليشاركه انفعالاته، احك لي يا عيسى ماذا حدث وإلا
صرفتك لنبدأ مهامنا العسكرية؟

علم يا افندم، لقد علمت في التوب أن أحد القتلى في الخلية
الإرهابية التي أنهينا عليها بعد أن قتلّت سبعة من جنودنا هو
أخي الأصغر الذي هجر البيت ولم أره منذ سنوات.

وهول المفاجأة في عيني القائد ومازالت راحتيه على كتفي
عيسى، شد حيلك يا جندي، شد حيلك وأنت في أجازة لمدة
أسبوع.

علم يا افندم، ولكني لن أترك وحدتي قبل قضاء المهمة
وبدون أعذار مهما يكن.

سحب القائد راحة كفه من على كتفي عيسى ورفع ساعده
بمحاذاة جبينه بثبات ليرد التحية بقوة: جندي عيسى، أنت جندي
بألف قائد وبألف جندي.

وقبل أن تنتهي التحية دوى صوت انفجار في نقطة تفتيش
هناك ووسط دخان تتطاير فيه الأشلاء. جرى القائد وعيسى
جنباً إلى جنب إلى مكان الانفجار ليكملوا المهام بلا تفكير وبلا
أعدار.



حكاية معركة

«ما أروع الحياة عندما تواجه الموت وجهاً لوجه،
فتبقى الحياة مبتسمة».

برداء من المشاعر المزيفة وبغفلة مني تسلل من بين جوانحي
وتسلق أسوار مشاعري وسكن هناك بداخلي، وفجأة وعلى غرة
مني أمسك بسكين كلماته وانهاled على الضلوع يطعنها ويقطعها
إرباً باحثاً عن موضع القلب، ولما أحس بلمسه انهاled طعناً في
سمك جدرانه يقطع أركانه بنصل سكينه الحاد يهتك الأذنين
والبطينين باحثاً عن المشاعر ليقتلها وعن الأحاسيس ليمزقها.

ولكنه لم يجد شيئاً سوى تيارات من الدماء الجارية من الدم
وإليه فاشتاط غضباً وهاج وماج بسكينه العمياء باحثاً بين بقايا
قطع اللحم من قلبي التي تناثرت بين الضلوع الممزقة في صدري
ولكنه لم يجد شيئاً فانهاled على أوردتي وشرابيني يذبح في
جدرانها باحثاً عن المشاعر في طياتها وبين خلاياها الحمراء
والبيضاء، ولكنه لم يجد شيئاً سوى صدى المشاعر الذي مازال
يسمعه هنا وهناك في أرجاء صدري ولا يعرف مسكنه.

زلزل صوت المشاعر سكينه فأصابه جنون البحث وهاج وماج
يقطع أشلاء قلبي هنا وهناك ولكنه لم يجد شيئاً فألقى سكينه
الحاد وسط الدماء وترك صدري يغوص في بركة من الدماء
الساخنة وجسده يرتعش من هياج مشاعره الصدئة وأفكاره
المجنونة، وازداد جنونه فالتقط بيمينه معول أفكاره الصدئة
وبشماله فأس حقه القاطع باحثاً عن عقلي.

انهال بعزم ساعديه على عظام جمجمتي يميناً وشمالاً حتى
استسلمت عظامها إلى ضربات معوله الغاشمة وفأسه القاسية
وانفتحت أمامه أبواب جمجمتي على مصراعيها ليجد دماغي
مكوراً هناك بانحناءاته وتموجاته وما حوى فظنه في حالة دفاع
عن نفسه ولم يدر بغيباء أفكاره وحنق مشاعره أن التموجات
والانحناءات تلك ما هي إلا طبائع مخية مسالمة فانهال عليها
يضرب سطحها وفي عمقها ويهتك أنسجتها الرخوة والنشوة تملأ
عقله المجنون ضاحكاً ومستهزئاً ببريق خلايا مخي العالق بنصل
فأسه ومازال ممنيأ نفسه أن يجد مشاعر قلبي وأفكار عقلي
مختبئة هنا أو هناك بين ثنايا الخلايا ليقطعها إرباً ويلطخها
بدمي.

ولكنه لم يجد لها أثراً ملموساً يقطعُه ويمزقه سوى صدى صوت مشاعري وقهقهة أفكاري التي تملأ جوف عقلي، ازداد جنونه الأعمى وانهاهال على بقايا الخلايا يهرسها بمعوله ويقطع الأوصال بينها بفأسه باحثاً عن عقلي بين بقايا الخلايا المتناثرة هنا وهناك بين أشلاء عظام مجمعتي وأنوية خلايا مخي المهتكة، وعبثاً لم يجد شيئاً من عقلي هناك ولكنه مازال يسمع قهقهة أفكار عقلي الساخرة وصدى مشاعري الدافئة في أرجاء مجمعتي الممزقة.

جن جنونه وصاح بأعلى صوته على صدى ضربات فأسه ومعوله أين أنتِ أيتها المشاعر لأمزق أربطتك؟ وأين أنتِ أيتها الأفكار لأنال من عقلك؟ أين تختبئين؟ وفي ظل جنونه الجامح وضربات العمياء الدامية فقد عقله ومشاعره وانهاهال بمعوله وفأسه يضرب عقله ويقطع قلبه وسط تأوهاتهِ ولم يدر بنفسه وهوى جثة هامدة تتدلى الفأس من إحدى يديه ويتدلى من يده الأخرى معوله ملطخاً بدمائه الغريبة التي تنزف من قلبه وتذوب فيها أفكاره الصدئة.

وسقط من علياء عقلي جثة هامدة لتهوي بأركان صدري لترطم بسكينه التي تركها هناك لتوه لتقطع أحشاءه ليستقط

صريعاً وسط سكون أطبق على جوانحي إجلالاً للحظة وفاة
مشاعر صدئة وأفكار حانقة في نهاية عراق من طرف واحد.

تجمعت الخلايا البيضاء التي كانت قد سالت هناك من
أوردتي وشرابيني جراء فعلته وجرت ناحيته تحيط بجسده تغسله
وتكفنه وتشيعه ومعه مشاعره وأفكاره إلى مئاها الأخير بعد أن
حفرت لها قبراً بعيداً هناك في الطحال حتى تتحلل وتتلاشى إلى
الأبد.

ولم يمضِ وقت طويل حتى التأمّت جراح القلب والعقل
وعادت خلايا الدم إلى أوعيتها تحتضن مشاعرها الدافئة وخلايا
المخ إلى جمجمتها تحوي أفكارها العاقلة واندمل جرح الضلوع
وعلا صدى صوت الشاعر يغني على دفوف الأفكار أغنية انتصار
القلوب الطيبة والعقول الحانية.

«وعلي ضوء أحداث ذلك الحلم تعلم صابر في بحر الحياة
كيف يحافظ علي قلبه وعقله من غزو النفوس المريضة ولو كانت
ترتدي ثوب الفضيلة»



حارة الكتب العتيقة

«ليتني أستطيع جمع كل الكلمات من حقول المعرفة، وأحملها على ظهري، وأضعها بين يديك هدية وعليها إمضاء ابتساماتي».

كان يوماً عجبياً، يوماً ليس كأى يوم، عندما ذهب صالح كعادته إلى سوق الكتب العتيق الذي يعقد مرة في الأسبوع وسط مدينته المكتظة بملايين من النفوس التي تحمل رءوساً عازفة عن القراءة إلا القليل وهو منهم، الكتب مصطفة على الجانبين مرتدية ثياب عتيقة وتنام على أرض السوق في استحياء ويزيد حياؤها عندما يلتقطه أحد العابرين جسد إحدى الكتب ويقلب بعض صفحاته ثم يمصص شفثيه ويلقيه على الأرض مرة أخرى بلا مبالاة وكأنه اكتشف فجأة أن الكتاب لقيط. حينئذ يشعر الكتاب وصفحاته بضيق وحزن شديد يكاد يمزق جلده ويتمنى أن يحول سطره إلى حروف من شظايا يطلقها على هؤلاء اللاقراء، ولكن سرعان ما يهدأ الكتاب عندما ترفعه أيدي أحد المارة بتلهف وتشوق لقراءته.

بعد خطوات ذهاباً وإياباً بين صفوف الكتب المترصدة على جانبي الطريق وعلى الأرفف الخشبية العتيقة في الشارع العمومي والشوارع الجانبية شعر صالح وكأنه في بستان فكري أزهاره تلك الكتب الحاملة لطلع ومتاع الحياة، شعر صالح بنكهة غريبة ولكنها جميلة تملكت نفسه المشتاقة إلى شيء غير عادي يملأ عليه حياته الجافة من المشاعر اللينة والعاطفة الجياشة بعد أن هجرته الأماني الجميلة التي كانت تملأ عليه حياته فتجمل له كل شيء حتى الجماد، لا يدري ماذا يبحث عنه؟ ولكنه يتطلع إلى شيء ما لا يعرفه ولا يدركه لعل هذا الشيء قابح هناك وسط هذه الكتب في كتاب ما وفي صفحة ما وفي سطر ما، شيء يبدأ منه وعليه رحلة حياة جديدة مفعمة بالنشوة والأمل والحب من بعد هذا الركود في حياته الذي يترنح بين بيئات شتوي إلى خمول صيفي، كم يتمنى صالح أن يجد في أسطر ما في هذا السوق العتيق ثورة بلاغية تفور منها كلمات تغلي بالحب والعشق والسهر والاشتياق والطموح وكل أنواع مقبلات الحياة، ولكن كيف له أن يجد هذا السحر الخفي في آلاف الصفوف من الكتب العتيقة هذه؟!

مصمص صالح شفثيه امتعاضاً على حاله الذي يريد إصلاحه هنا فكيف له أن يغير مسار حياته بكلمات والآخرين يلجأون لكل أساليب الحياة الأخرى للتغيير. فمن أصدقائه من لجأ لمسار

السياسة ومنهم من لجأ إلى مسار الفن أو الرياضة والكثير إلى عالم المال والإعلام، أما هو فما زال يفكر بنفس عقليته التي لم تتغير منذ وعى على الحياة واستمرت معه حتى فارقه والده الذي أورث له هذا المسار الفريد من تغيير البيئات الشتوي للحياة، والغريب أن هذا المسار المتضرد لم يزعج صالح أبداً بل طالما يتلذذ به أيما تلذذ خاصة عندما يكتب هو كلمات مرسله من المشاعر الحانية بفلسفة راقية ومعاني تجذب لب العقل وترياق القلب.

استمر صالح في تقليب الكتب والروايات والقصص القصيرة وكأنه يقلب في ورود حديقته بفناء بيته يستنشق عبق وريحق الكلمات المتراسة بالكتب في نشوة عارمة ملأت عقله وقلبه حتى أصبح عبير هذه الكتب العتيقة جزءاً من هندامه المتألق الذي اعتاده عمداً كلما ذهب إلى حارة الكتب وكأنه على موعد غرام، وبعد أن قلب وقبّل بشفاه أصابعه عشرات الكتب تسمرت عينه على كتاب عندما قرأ عنوانه وبينه اسمه صالح، حدق صالح في العنوان ولم يصدق عينيه فهو أول مرة يرى هذا الكتاب مع أن معظم الكتب هنا أصدقاؤه يعرفهم فرداً فرداً ويعرف أسماءهم ويشاركهم همومهم وأفراحهم، انفرجت أساريره وتعجب من كتاب بعنوان «يوميات صالح في حارات النفس الشقية» الذي شعر وأنه يحمل في طياته رحلته الداخلية.

أحقًا هذا؟! أحقًا عنوان الكتاب؟! أحقًا أُرابط أنا على غلاف الكتاب؟! أكون أنا الذي يعنيه المؤلف؟! كيف علم أن هناك في مكان ما هنا على هذه البقعة من العالم نفسًا اسمها صالح تهيم في حارات النفس الشقية؟! أ يصل التواصل الروحاني بين العقول إلى هذا الحد؟! هكذا حدث صالح نفسه وهو يتمنى أن تكون محتويات الكتاب تقص حياته اليومية كما في العنوان، وبالفعل، فعندما تصفح بعض الصفحات وجد نفسه هناك يجري ويلعب ويقراً ويذاكر وينام ويصحو في كل مكان في فصول الكتاب، أمسك صالح الكتاب وضمه إلى صدره كأنه يضم حبيبه ومشى دون أن يبالي حتى يدفع ثمن الكتاب، نظر إليه بائع الكتب وابتسم أين أنت ذاهب يا أستاذ صالح؟! نسيت أن تدفع ثمن الكتاب، لم يلتفت صالح إليه واستمر في مشيته الهوينة في حالة هيام مع كتابه دون أن يشعر بمن يناديه وهو يحدث نفسه هذا الكتاب لا يباع ولا يشتري، إنه أنا، روحي تسكن هذا الكتاب. ابتسم البائع ولم يعلق فالأستاذ صالح دائماً ما يدفع أكثر من سعرالكتب.

أمسك صالح الرواية التي يعشق قراءتها بين كفيه كأنها قرآن أفكاره يتنفس عبق حروفها وينهم معاني كلماتها متبخرًا بعينيه بين الجمل متشوقاً لأحداث يتمنى حدوثها لبطل الرواية صالح الذي تعاطف معه خاصة أنه يحمل سنواته الثلاثين وكأن

مؤلف هذه الرواية كتبها عن صالح الواقعي وليس صالح الخيال منذ ثلاثين عاماً أي يوم ميلاد صالح، صدفة عجيبة لا يجد لها تفسيراً إلا أنه يحلم أو هو تناسخ الأرواح.

وضع الكتاب بين راحتيه وتراخت عضلات أصابعه وهي تحتضن صفحات الكتاب وتقلب صفحة بعد الأخرى وعينيه تداعب الكلمات وتغازلها وشفتيه تتراقص مع عينيه عن كل حدث يجد فيه صالح بلحمه ودمه بين السطور، كلما قرأ مزيداً من الصفحات والأحداث ازداد تعلقه بالكتاب وأحداثه فحياته هناك توصف الماضي الذي عاشه بحذافيره وكأن الكاتب كان يعيش مع صالح أو كان يتجسس يوماً بعد يوم على أحداث حياته قبل ميلاده. ويوماً بعد يوم تحول شغف صالح إلى قلق وخوف من أن يقرأ باقي أحداث الرواية عندما وصل إلى الفصل الثلاثين الذي يصف أحداث حياته التي يعيشها الآن في الحاضر، هل يكمل القراءة أم ينهيها؟! ولكنه لم يستطع التوقف واستمر في قراءة الفصل الثلاثين ليجد نفسه معرّياً أمام نفسه وكأن ما يقرؤه ليست رواية بل كتاب أعماله حتى يومه هذا.

خاص صالح في أعماق الكلمات والجمل يبحث عن عقله في زمن فات ولكنه يراه ماثلاً أمامه بتجاعيده وانبساطاته وتموجاته

وكانه يرى فيلماً سينمائياً لحياته ألفه الكاتب وصوره وأخرجه يوم ميلاد صالح كما تعكسها أحداث الرواية حتى الفصل الثلاثين، كاد قلب صالح أن يقف بعد أن انتهى من قراءة هذا الفصل فيما ترى ماذا هناك بعد الآن؟! هل يعقل أن تلخص حياة صالح المستقبلية بعد الثلاثين أيضاً مسطرة على صفحات الفصول المتبقية من الرواية بدءاً من الفصل الواحد والثلاثين؟! اضطرب عقل صالح واهتز قلبه فما كان يبحث عنه في سوق الكتب العتيقة رواية تبعث فيه الأمل لانطلاقة جديدة في الحياة، أما الآن فهو يقرأ ماضيه وحاضره ومستقبله، فماذا هناك في المستقبل؟! تردد صالح كثيراً قبل أن يبدأ بقراءة الفصل الواحد والثلاثين ولكنه قرر أن يقرأه ليجد ما تخبئه أحداث الحياة لعله يتجنب أحزانها ويستبشر بأوقاتها الفرحة.

انشرح قلب صالح وشعر بسعادة خفية في تجاعيد عقله ولمحات وجهه عندما بدأ يقرأ تسلسل الأخبار السارة خبر يتلوه خبر في متن صفحات هذا الفصل، بدأت القوة تحل محل الوهن في جسده والأمل يطفو فوق الركود والعزم فوق اللين والحب يغلف كل مشاعره فأصبح يرى العالم كله وكأنه خلق من أجله ليستمتع به كيفما يشاء، لم ينم صالح قبل أن ينهي قراءة هذا الفصل بالكامل، نام صالح نومة هنيئة بعد أن توضعاً وصلّى الفجر

وركن على جنبه الأيمن كما قرأ في الرواية، نام والأحلام الجميلة والرؤى تملأ عقله يميناً وشمالاً وفوق وتحت وهو غير مصدق أنه صالح الذي كاد أن يفقد كل آماله وأحلامه دفعة واحدة لولا إصراره أن يبحث عن شيء ما يجدد له حياته ولو بين سطور من الجمل على صفحات من كتب عتيقة لا يلقي أحد لها بالاً، نام صالح وكله أمل وشوق إلى صباح جديد يفعل فيه ما يحب ويهوى، نام صالح ولكنه لم يستيقظ بعدها أبداً فقد كانت نومة النهاية قبل أن يقرأ ذلك المشهد في الفصل الأخير من الرواية.



obseikan.com

زحمة مشاعر

«وقد تزدحم المشاعر وتختنق في شوارع الحياة الضيقة فيختلط الحزن بالفرح».

قارب العام على الانتهاء وحمل أيامه على كتفيه في سبيله للوداع غير عابئ ولا ملتفت وراءه لما خلفه من ذكريات حفرت في قلوب وعقول الناس. وكان عامي مليئاً بالأحداث السعيدة والحزينة ومليئاً بالمشاحنات وأيضاً الدعوات ومليئاً بالإنجازات والإخفاقات ولكن عادة ما تتفوق الهموم على السعادة في حضر أحداثها في القلب وهكذا أنا الآن تصارعني الهموم على حساب الأيام السعيدة «هكذا حدث محمود نفسه وهو يصف شعره صباح هذا اليوم الذي ينتظره كل عام».

إنها أنانية مفرطة للهموم وكأنها خلقت من صمغ عربي يلتصق بالنفس ولا يتركها وكأن السعادة خلقت من هواء يدور حول صاحبه ويتركه عند أول هبة ريح، دون أن يدري جزاً محمود على شفثيه وكأن هموم العام تسكن أسنانه وأرادت أن تنتقل إلى شفثيه.

حدث نفسه وليكن أنا الذي أقرر الأحاسيس، فلدي كل أنواع المشاعر، وقد قررت الآن وأنا في كامل قواي العقلية وبتجماع عام من كل خلاياه المخية وبمساندة من الخلايا القلبية أن أكون سعيداً وأن أنحي الهموم جانباً وأستدعي كل جوانب السعادة القابعة هناك في العقل الباطن لتكون في بؤرة العقل الظاهر، فأنا العقل وأنا القلب ولي الاختيار.

انشرح صدر محمود لقراره هذا ووضع يديه في جيوب بنطلونه وأخذ شهيقاً عميقاً وهبط درجات السلم من طابقه السادس دون أن يستخدم المصعد، وكأنه أراد أن يفعل القرار ليوم بالمفاجآت.

الأسبوع الأخير من هذا الشهر مليئاً بأعياد الميلاد للعديد من الأصدقاء ولن يكفي المرتب لشراء الهدايا وكأن شهر ديسمبر اتفق مع أصدقائي عليّ لكي يهلك ميزانيتي كل عام، ولكن أنا أيضاً عيد ميلادي في هذا الشهر وهذا الأسبوع، أهي حقاً مصادفة أم أن أوقات الميلاد تنادي على القلوب لتتآلف؟! قد يكون أيهما فهناك الكثير من أصدقائي من ولد في أشهر مختلفة من العام.

ومن يدري لعل مقدار عمق الصداقة يتناسب طردياً مع مدى تقارب أشهر الميلاد، ومن يدري فقد تكون العلاقة أيضاً عكسية. إنها فكرة رائعة لموضوع بحث اجتماعي جديد، هكذا

حدث محمود نفسه وهو يمشي في الطريق الرئيسي بالحي الذي يسكن فيه تاركًا العنان لقدميه لتأخذه إلى حيث تريد .

إنه شعور رائع أن أحتفل بأصدقائي دفعة واحدة فهي فرصة لكي أعيد حساباتي مع كل منهم في نفس الوقت ليكون لكل هدية على مقدار عنفوان الصداقة، عمومًا يجب أن أختار أصدقاء المستقبل من مواليد أشهر أخرى بالعام وإلا تحول شهر ديسمبر إلى رمز الإفلاس لميزانية العام.

ابتسم محمود بهذه الدعابات الفكرية وهو يمشي الهوينة يتفرج على الفاترينات في الشارع المتلألئ بالأنوار والناس فيه إما واقفون أو سائرون ولكن الكل محدد على المعروض من المحلات وكأنهم يطوفون حول كعبة الشراء حصرها الأسود بضاعة فارغة فمها ينادي على الزبائن الذين لا يتركون بضاعة إلا ويتفحصونها ببطء وبنهم شديد وكأن أصحاب المحلات رشوا موادًا فاتحة للشراء على بضاعتهم.

لم تفلح كل أدوات الإغراء للشراء لجذب محمود فهو لا يدري ماذا يبحث عن هدايا لأصدقائه ولكن بالطبع ليس ما يراه فقد سئم من التكرار والتقليد، فهو يبحث عن شيء جديد، شيء يطوق السعادة.

لاحظ محمود طوقاً صغيراً ذا تصميم راق وألوان رائعة فيها تناسق وهدوء جميل كتب عليه «أنت هديتي»، أعجبه الطوق والكلمات القصيرة المعبرة، وشرعت له فكرة جديدة في الاحتفال بعيد ميلاد أصدقائه ليكون الاحتفال فيه سعادة ومرح بطريقة مختلفة لعلها تكون مختلفة عن طريقة باقي الأصدقاء.

اشترى محمود خمسة أطواق وخمسة هدايا مختلفة وكتب تحت كل طوق «مع الحاء والباء والياء». وقرر أن يضع كل طوق في كرتونة بأحجام مختلفة وبدون أسماء ليتسابق الأصدقاء كل في التقاط هديته وبهذه الطريقة يترك خيال كل صديق لما تتوق له نفسه بحجم الكرتونة ليفاجأوا جميعاً أنهم لديه سواء، انتشى محمود بالفكرة وكأنه توصل إلى نظرية جديدة لجلب السعادة بين الأصدقاء.

الآن وقد اشتريت هدايا أصدقائي فلاأكن أنا أيضاً مختلفاً هذا العام وأشتري أنا هديتي لنفسي. فإذا كان الآخرون يهدونني تعبيراً عن حبهم لي فلماذا لا أهدي أنا نفسي فأنا أيضاً أحبها، فكر محمود كثيراً عن شيء يشتريه ولكنه قرر أن تكون هديته مثل باقي الأصدقاء ولكن بأسلوب مختلف قليلاً، اشترى نتيجة العام الجديد ومعها نفس الطوق، وكأنه أراد أن يكون العام الجديد أيضاً عام سعادة وليكن هدية الزمن لمحمود.

اقتربت الساعة من الحادية عشر مساءً ومؤكّد جميع الأصدقاء هناك للاحتفال بنصف دستة أعياد ميلاد بالإضافة إلى الاحتفال بالعام الجديد كما تعود الأصدقاء منذ أكثر من عشرين عاماً، ولكن هذا العام مختلف لما له من مذاق خاص فقد افترق الأصدقاء لأكثر من عشرة أعوام كل في طريقه وكل في بلد ولكنهم على موعد للقاء هذا العام والذي اعتبره محمود علامة للسعادة.

ولذلك قرر أن يجلب السعادة ولو بأبسط الهدايا، دق جرس الباب عند الصديق الأكبر والذي تعود الجميع على أن يكون اللقاء هناك في بيته وكم كانت أيام اللقاء رائعة ومليئة بالحب الذي كانت مشاعره الصادقة بخوراً ليوم اللقاء كل عام جديد، بخور وحجاب من كل ما يعكر صفو الأصدقاء طوال العام.

وما فتح أكبر الأصدقاء الباب حتى فوجئ محمود بطوق كبير من نصف دستة من الأطواق الصغيرة كتب عليها «أنت هديتي» ويتدلى منها قلب كبير كتب عليه أسماء الأصدقاء ووراء الطوق اختبأ كل الأصدقاء وهم يغنون أغاني عيد الميلاد فقد كان اليوم هو عيد ميلاد محمود، وهكذا تتوارد أفكار الأصدقاء عند اللقاء من بعد فراق.

obseikan.com

أنثى الثورة

«الديار بالوطن قبلت القلوب؛ ولذلك تتساقط حبات المطر لتعود إلى أوطانها وإن كانت قد تبخرت منها».

«ما أراه بالوطن يا صديقي ينذر بأصعب الساعات في المستقبل القريب وأحلكها في المستقبل البعيد؛ ولذلك أريدك أن تهجر هذا الوطن الكئيب وتبحث لك عن وطن آخر تسعد وتهنأ فيه مع عروسك الذي تبحث عنه، عد إلى البلد الذي كان فيها ميلادك ومنحتك جنسية فوق مصريتك» هكذا كان نص معاذ في المشهد الأخير من الرواية، رد معتز عليه بحماس: «حزين أنا أن أسمع هذا النصح المستسلم للحاضر من صديق العمر الذي شاركني حبي لهذا الوطن، أراك قد فقدت النظر إلى وطنك يا صديقي، وعليك أن تبحث عن طبيب عيون ماهر لعمل نظارة جديدة تستطيع بها أن ترى وطنك من زاوية أخرى، وليكن هذا الطبيب هو تاريخ الأوطان».

صفق الحاضرون تصفيقاً حاداً كله حماس لمعاذ ومعتز على أداء أدوارهم في هذه الرواية التي تعرض كل يوم على خشبة

المسرح السياسي الجديد الذي دشنته الدولة لتتقيف الناس سياسياً ولكن بطريقة أدبية واجتماعية.

وكما هما أصدقاء في الرواية، معاذ ومعتز أصدقاء أيضاً في حياة واقع الحياة وعادة ما يقبلون الأدوار الثنائية سوياً ثم يذهبون لقضاء الأمسيات السياسية في أحد الصالونات الأدبية. تملك معتز اليوم شعور مختلف عن كل ليلة، فمع أنه يكرر نفس الكلمات كل يوم أمام الجمهور على خشبة المسرح إلا إنه أحس اليوم بشعور جديد جعله يفكر في كل كلمة قالها ويفكر في الإشارات التلقائية التي رآها من فتاة كانت مشدودة إلى كلامه وتتفعل بانفعالاته حتى أنها نهضت واقفة لتحبيه عندما أنهى جملة وأطالت التصفيق عن باقي الجمهور وهي تقف ملوحة بعلامة النصر.

إنها فتاة عادية في المظهر والشكل كمعظم الفتيات المصريات من هم في العشرينات من عمرهن، ولكنها كانت مختلفة، عيونها يملؤها الأمل، وسواعدها تحرس جسدها باعتزاز الأنثى بذاتها وتعتبر بهما بعلامات النصر دون أن تدري وكأنها تشجع جنوداً تحارب على خشبة المسرح، لوحث له الفتاة وغادرت المسرح كباقي الجمهور ولكنها لم تغادر خياله ولا عقله.

إنه شاب مثلها ويقول هذه الجمل كل يوم ولكنه لا يشعر بها كما شعرت هي، هي أكثر حماساً وتأخذ كلماته على محمل الجد وهو يرد على معاذ بكلماته القوية بأن يبحث عن طبيب يعالج فقدان بصره للوطن، إنه يقول هذه الكلمات بحماس ليس لأنه متحمس للكلمات ولكن ليتحمس الناس إلى تمثيله ويقتنعون به كممثل بارع.

أما هي فليست بممثلة ولكنها أتت لكي تشحن ضميرها الوطني بكلمات تتعايش معها وكأنها الخلاص لها مما تمر به البلاد من جراحات المشكلات السياسية التي تغوص في جسد الوطن الذي يئن من آلام مبرحة من جراء هذه الجراح.

هيا بنا يا معتز لنذهب إلى العشاء ومن هناك إلى المقهى الثقافي فالبرنامج اليوم رائع ومغذٍ للقلب والعقل والروح. ما رأيك يا معاذ في الكلمات التي نتقوه بها كل يوم أمام الجمهور والذي يصفق لها كثيراً؟! إنها كلمات رائعة يا معتز ونقولها بطريقة حماسية منقطعة النظير ولذلك يصفق لها الجمهور والذي يزداد يوماً بعد يوم مما جعل الدولة ممثلة في الجيش أن يرسل لنا شهادة تقدير على التأثير الإيجابي الذي أحدثته هذه الرواية في الروح الحماسية للناس في حب الوطن.

ولكن ماذا عنك أنت يا معاذ أتفكر فعلاً فيما نقول؟! هل فكرت يوماً أن تترك الوطن بسبب الجراح؟! وهل لو فكرت بالفعل أني سأنضحك ألا تترك الوطن؟! أنا لم ولن أفكر يا عزيزي لأنني ناجح هنا والناس تعشق أدائي التمثيلي وبالتالي فلن تضطر أنت في نصحي، وما وراء كل تلك الأسئلة يا صديقي لم أعود منك هذا؟!

لا تشغل بالك يا معاذ، مجرد أفكار وابتسامة الليلة وأنا أشاهد انفعالات الجمهور، الآن فهمت يا أستاذ، فأنا أتذكر تلك الفتاة التي كانت تتحرك وتهمس بشفتيها وأنت تتكلم وكأنها تلقنك كلماتك أو أنك تلقنها الكلمات، إنها فعلاً يا صديقي وأنا مدين لها بتغيير منحنى تفكيرى الليلة، رائع يا صديقي ولكن هيا بنا، لن آتى اليوم يا معاذ فأنا سوف أقضي الليلة سائراً فلم أفعل ذلك منذ زمن، كما تشاء ولتلقني غداً على خشبة المسرح.

مع أن الوقت كان بارداً إلا أن معتز شعر بدفء يسري في كل خلية في جسده، مشى على الكورنيش مردداً نفس الكلمات معتزاً بنفسه وكأنه فارس مغوار أو كأنه قائد لجيش تحرير الوطن من آلامه، كيف لم أشعر بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمات قبل اليوم؟! أنا فعلاً ممثل قدير ولكنى لست مواطناً جديراً بوطنه،

أما الآن فأنا في طريقي لأكون مواطناً ينشد التغيير، مواطناً يشعر بالمواطنة.

فجأة شاهد معتز زحاماً شديداً يكاد يكون مظهرة أمام مبنى إحدى السفارات ذات الأسوار العالية والناس تردد: «نعم نعم لن نترك الوطن»، دلف معتز جسده بصعوبة من بين الأجساد المتزاحمة رجالاً ونساءً ليجد أمامه الفتاة نفسها واقفة على خشبة مسرح الحياة وصوتها يعلو وينخفض والأذان تصغي لحديثها وهي تلهب حماس الناس وهو جمهورها بالأ يتركوا الوطن ويرحلون إلى بلاد تمتص رحيق روح أبنائه مرردة نفس الكلمات التي يتفوه بها معتز كل مساء.

اندهش معتز وفرح برؤية الفتاة وهي الفارس المغوار الحقيقي وليس هو لمجرد ترديده لنفس الكلمات إما بهمس في نفسه أو بتمثيل أمام جمهوره، هنا الجمهور الحقيقي وهنا أنا معتز الحقيقي، لم يدرِ معتز بنفسه إلا وحماسه يدفعه دون أن يدري ليقف بجانب الفتاة مررداً كلمات معاذ والفتاة تردد كلماته، هنا بدل دوره بدور معاذ فلا يليق بالفتاة إلا كلماته، وما إن رأى الناس نجمهم بجانب الفتاة حتى صاحوا مصفقين وملوحين بحماس منقطع النظير ومرددين: «نعم نعم لن نترك الوطن».

ابتسمت الفتاة فأمسك معتز بيديها ليرفعهما عاليًا معبرًا
عن إعجابه ببطولتها في واقع الحياة هامسًا لها هنا هي الحياة
وهناك مجرد مسرح للحياة، شددت الفتاة على يديه وأخذته إلى
خارج المبنى مرددة بحماس: «نعم نعم لن نترك الأوطان»، وتبعهما
الناس مرددين الشعار وامتلات الشوارع بالشعار حتى فوجئ معتز
بمن يهديه تحية لحماسه على المسرح والحياة، فما كان منه إلا أن
قدم التحية إلى الفتاة فهي الأنثى التي جعلته مواطنًا يعرف كيف
يحب وطنه، مواطنًا بين الناس، مواطنًا جديرًا بحب وطنه وحب
الناس، مواطنًا جديرًا بأنثى الوطن.



مفاجأة أسبوع السعادة

«لحظات السعادة كحبات الخرز إن لم يصنع منها
عقد بخيوط من الأمل تتناثر في ثرى أيام العمر».

تجمع الأصدقاء حول المائدة كما يحلو لهم كل خميس لتكون
ليلتهم حتى الصباح، توسط محمود المائدة طالباً من أصدقائه
السبع الصمت ليعلن عن مفاجأة المساء والأسبوع، اتفق الأصدقاء
على أن يستضيف كل واحد منهم المجموعة كل أسبوع في بيته أو
كما يحلو له على أن يقدم مفاجأة تسر الجميع، وكانت معظم
مفاجآت الأصدقاء تدور حول النساء والرقص والمنشطات والغناء
والمسابقات المجنونة والمجون نفسية كانت أو جسدية، واليوم كان
الدور على محمود ليعلن عن مفاجأته التي توقع الجميع أن تكون
أكبر المفاجآت فهو آخر من في المجموعة والكل يتطلع إلى ما في
جعبته بأنه أفضل مما قدموا حتى الآن.

وفي اللحظات التي رفع فيها محمود الكأس ليدق عليه
الثلاث دقات بطرف الملعقة التي بيده ليسكت الجميع، انتشى
عقله أيما انتشاء وهو يتفحص عيون أصدقائه ليرى فيها لهفتهم
على مفاجأته التي سوف ترقص لها كل خلية في جسدهم فرحاً

لما فيها من متعة خاصة جهزها هو لكل خلية حتى ينتشي الجسد كله مرة واحدة، ولما لا وهو الأوسم والأطول والأيسر والمدلل من قبل والديه وخاصة أمه التي يعلم الجميع أنها تعامله كأخ وأب وصديق، وأثناء تلك اللحظات الجميلة التي تخيل فيها نفسه الفارس الذي تتجمع الحياة حوله وتحت قدمي فرسه الذي لا تشق له غبار، انتشى محمود أكثر- وعلت شفثيه ابتسامة كبيرة وفي داخله ضحكة أكبر يؤجلها لما بعد الإعلان عن المفاجأة- وهو يفتخر بنفسه في قدرته على إخفاء ما يحدث كل أسبوع من مجون عن أبويه وفي نفس الوقت يبدو لهما الابن الذي تجمعت فيه كل صفات الأبناء النبلاء الأوفياء، يالك من وغد كبير، همس محمود في نفسه والابتسامة لا تفارق شفثيه فخوراً بكل خلية في عقله ساعدته في إظهار هذا الذكاء الخارق.

صمت الجميع وكأن على رؤوسهم الطير وكلهم شوق إلى المفاجأة المدوية التي يتوقعون أن تهز أركان الغرفة التي امتلأت بدخان السجائر والماريجوانا والحشيش والبخور على أنغام الموسيقى الصاخبة، وقبل أن يعلن محمود عن مفاجأته، دق الباب من غير توقع وتردد محمود أن يفتح الباب في هذا الوقت المتأخر من الليل وفي هذه الحالة النشوانية التي يحلق فيها أصدقائه في غرفة من شقته التي أهداها له والده وأمه فور تخرجه من كلية الهندسة فخراً به وبنجاحه، خفض محمود يده والكأس بها

والغضب يفور من كل وجهه وعلق لحظة الإعلان عن المفاجأة وهم حتى يرى من الذي تجرأ أن يأتي في هذه اللحظة الفاصلة في أسبوعه ليقطع عليه نشوة التفوق على مفاجآت أقرانه.

نظر محمود من العين السحرية للباب فوجد نفسه أمام مفاجأة أخرى لم يستطع أن يتجاهلها. سيدة تقف أمام الباب بظهرها ولا يرى منها إلا خلفية رأسها الذي ترتدي عليه طرحة لم يتبين ما تحتها وكأنها تتعمد ألا يتعرف عليها من يفتح الباب حتى تفاجئه، السيدة إحدى يديها تتأبط كتاباً يبدو أنه مقدس وتتأبط يدها الأخرى علبة صغيرة مغلقة بطريقة أنيقة يبدو منها أنها هدية جميلة لشخص ما في هذه الغرفة، يا ترى من هذا المحظوظ الذي جاءت له هذه الفتاة في هذه اللحظة وفي هذا المساء لتمنحه هذه الهدية دون الآخرين؟! من هذا الذي جاءت له هذه السيدة لكي تفسد عليه لحظة الإعلان عن أكبر مفاجآت الأسبوع ولحظة الانتصار والتفوق، سأل الجميع محمود وكلهم لهفة من على الباب لكي يطمئنوا أنهم في مأمن، أوماً إليهم أنهم في مأمن وأنهم في انتظار سيدة على الباب تحمل هدية لأحد منكم وإني في شوق لأعرف من هذا العرييد الذي أراد أن يفسد عليّ مفاجأتي الليلة.

همَّ محمود بفتح الباب ووراء أقرانه السبعة والجميع في شوق ليروا الفتاة الجريئة والكل يمني نفسه أن يكون صاحب اللحظة. تعالت الهمهمات والابتسامات والضحكات المنتشية والعيون الجائعة لمن وراء الباب، فتح محمود الباب ليرى جسد السيدة كاملاً والمغطى بالثوب الفضفاض الجميل، استدارت له بحركة مفاجئة لتعطي له الهدية وتحتها الكتاب ويعلو وجهها ابتسامة كبيرة قائلة: كل عام وأنت طيب يا محمود، اليوم عيد الأم وأنت أطيب ابن لأسعد أم.

كاد محمود أن يغمى عليه من هول المفاجأة التي صمت الجميع أمامها فقد كانت حقاً أكبر مفاجآت الأسبوع التي ظن الأصدقاء أنها من صنع ذكاء محمود، فقد كانت أم محمود.



ثورة الأمنيات

«لكم تمنيت أن يكون لون الدم أبيض حتى لا نراه على الأيادي والصدور والرعوس المقتولت».

عين على القطار وعين على الرصيف الذي يعج بالمسافرين والعائدين بمقاصدهم المختلفة. فهو يرجو لنفسه ركوب القطار ليأخذه إلى مقصده الذي تمناه وهو العمل خارج البلاد لعله يستطيع أن يحقق أحلامه، ولأنه ارتبط بهذا المكان وهؤلاء الناس من الأهل والأصحاب والجيران فكيف له بعد هذه السنين أن يترك كل هذه الذكريات ويرحل إلى تلك البلاد خاصة أن قدميه لم تطأها من قبل على الإطلاق، وقف سامح وبصره وعقله متعلقين باتجاه المطار وقلبه متشبثاً بالرصيف، والقطار يزمجر بصوته معلناً عن تحركه إلى اتجاه القاهرة.

تعجب سامح من العراك الداخلي في الإنسان بين مشاعره واحتياجاته، بين قلبه وعقله، بين الواقع والخيال، وتعجب كيف يفكر الآن في قرار اتخذه منذ شهور وأنفق عليه كثيراً من المال ثم غنى له طويلاً لما علم بخبر فوزه بإحدى الوظائف في شركة

بتروول في تلك الدولة الغنية الكبيرة، إنها قد الذكريات وحنين
المشاعر التي تهب كرياح الخماسين على أوراق واقع الأحداث
فيجعلها تختلط وتتشابك وتضطرب، ولكن لحسن الحظ فإن
رياح الخماسين موسمية ولا تبقى طويلاً وإن اقتلعت بعض أشجار
الواقع من جذورها.

استجاب سامح لصفير القطار الذي لم يتوقف حتى خرج
من المحطة محملاً بركابه الذين حملوا معهم متاع الحياة وأفكاراً
ومشاعر لو انطلقت من العقول والقلوب ليقراها المسافرون
علانية لتوقف القطار حرصاً على رغبات ركابه وتضامناً مع
مشاعرهم. ولحسن الحظ فإن الأفكار والمشاعر ملك صاحبها،
له وحده دون الآخرين طالما لم تخرج من قلبه وعقله حتى وإن
غط في نومه في رحلة تزيد عن يوم من السفر من الصعيد إلى
بلد المقصد.

تزاحمت المشاعر في أجواء وسماء نفس سامح وكأنها أسراب
من طائرات حربية تحلق في كل الاتجاهات والارتفاعات بصوت
محركاتها النفاثة دون أن تصطدم أو تتصادم بأجنحتها فهي فقط
تعلو باحثة عن مكان على بساط نفسه لعلها تهبط فيه بسلام
وأمان.

فهناك طائرات محملة بذكريات الحب وأخرى بذكريات الأمل
وبمستقبل ناجح في العمل والاستقرار الاجتماعي، وطائرات أخرى
تحمل أمنيات امتلاك متطلبات الحياة الكريمة بلا حرمان إلى
استدانة وطائرات محملة بالذنوب الصغير منها والكبير، وطائرات
محملة بمشاعر البنوة الحاملة للوالدين وحبهما الذي يعمر القلب
إلى حنانهما الذي لا يضاهيه أو يماثله حنان، وطائرات محملة
بمشاعر الإيمان بالله وحبه بالدعاء إلى الله بالتوفيق والسداد
والمغفرة.

تعجب سامح كيف تحمل نفسه كل هذه الحمولة من الإيمان
والحب والآمال والهموم والأوجاع على متن طائرات تحلق في
صدره وأجواء نفسه وهو في هذا القطار الذي يجري ولا يأبه
بأفكار ركابه، هو فقط يجري إلى نهاية طريق يمثل لسامح بداية
حياة، إنه ثوب القدر الذي يلبسه الناس مفصلاً من الله وفي
جيوبه كل أمتعة الحياة بخلوها ومرها .

ترك سامح الطائرات تحوم في صدره وهو ينظر من شباك
القطار مبتسماً يا ترى من يسبق الآخر الطائرات في أجواء نفسي
أم قطار الغربة والأحلام. ولكن كلما أوغل القطار في طريقه وقطع
المسافات وترك القرى والمدن خلفه كلما هدأت محركات الطائرات

في أجوائه حتى سكنت في النهاية ولم يبقَ ما يحلق هناك في هدوء
سوى طائرات الإيمان بالله والآمال المعلقة على الموطن الجديد
بغد أجمل كله توفيق، هدأ بال سامح لما رأى الخضرة على امتداد
البصر وخلد إلى نوم سكن عيونه كان يطارده منذ أيام.

فوجئ سامح بنفسه داخل غابة من الجبال الشاهقة نحت في
جوفها بيوت كبيوت قوم عاد خالية على عروشها تطل منها رءوس
ثعالب تتفرض تجاهه لتتهش لحمه وعظامه وهو يحاول أن يهرب
منها فينكب على الأرض بوجهه ليجد نفسه مكمواً فوق أشواك
من الثعابين تتنافس للدغه وعصر عظامه.

تتحشرج أنفاسه بين ضلوعه ولا يستطيع أن ينهض إلا بدفعة
غير مقصودة من ثعبان أقرع فيجري سامح بكل قوته على أجساد
الثعابين ليجد الأرض وقد تحولت فجأة إلى سجادة من رءوس
أشواك تقطع لحاء قدميه لتسيل دماؤه ملونة الأشواك بلون دمائه
التي سالت معها أحلامه وآماله قطع مجمدة تدوسها أقدامه وهو
يحاول الهرب من نفسه وممن حوله.

كاد سامح أن يفقد وعيه ليقع على الأرض منهكاً بين بقايا
أحلامه وآماله المجمدة والأشواك المغروسة في قدميه والجبال
والسماء تقترب منه حتى كادت أن تتقبض عليه في ظلمة لا يستطيع

أن يرى فيها كف يديه، استسلم سامح إلى الحياة المدججة بالآلام الدامية والتي اجتمعت فيها كل أسباب الموت الذي يتمناه الآن هدية من الله إن شاء.

وفي حشجة أنفاسه التي أوشكت على النفاذ فوجئ سامح بسواعد من طيب تهدد أنفاسه وتضمد جراحه وتحمل جسده من فوق الأشواك بلطف الأب وحنان الأم. نظر سامح إلى هذه السواعد الطيبة التي تريد إنقاذه وتأمل حدودها، غير قادر على لمسها من شدة إجهاده، ابتسم ابتسامة انفرجت معها أساريره وأشعلت في جسده الحياة عندما رأى وجهي أمه وأبيه في نهاية تلك السواعد ضاحكة مضيئة كمشكاة من أقمار في ظلمته الحالكة.

لما رأى وجوه أبويه الضاحكة نهض سامح ليقبل تلك السواعد ولكنه فوجئ أن السواعد تشكلت على هيئة سجادة من سندس مطمور تحتها لجة من مياه دافئة تجمعت فيها كل أسباب الحياة فاشتد عوده وعادت أنفاسه الهاربة من روحه محملة بالآمال والأمانى الطيبة، وفي لمح البصر وجد سامح نفسه يطير بين الجبال الشاهقة في واحة من أشجار في سهول يفتريتها بساط من سندس أخضر يانع يسر العين والقلب.

اندهش من هذا التحول السريع بين مظاهر الخوف والقلق في
ظلمة الجبال التي تعثو بينها الثعابين وتسكنها الثعالب إلى الجنة
على الأرض مترامية الأطراف حوله، ولكن تحول هذا الانسراح
إلى انقباض في القلب لإحساسه بوحدة قاسية فلم يكن هناك
حوله لا إنس ولا حيوان حتى كاد أن يعود إلى ظلمة الجبال حتى
لا يكون هنا وحيداً بلا ونيس، وقف سامح حائراً بين السهول
باخضرارها وجمالها وسكونها وبين الجبال بظلمتها وحيواناتها
الضارية ولا يدري أيبقي هنا أم يعود هناك؟!

وفي وسط هذه الحيرة، استيقظ سامح على صوت انفجار هز
داخله وكل شيء حوله، انفجار هز القطار والركاب ففزع وصرخ
الأطفال والنساء وقفز الرجال يميناً وشمالاً ولا يدرون ماذا هم
فاعلون وتوقف القطار عن السير فقد انحرفت عجلاته عن
القضبان نتيجة للانفجار.

تعالّت الأصوات تسأل عن السبب وماذا حدث ولكن لم
يستطع أحد التوصل إلى أي نتيجة سوى أن هناك بعض الإصابات
بين الحرجة والخفيفة ولم يكن هناك أية وفيات، تنفس سامح
الصعداء وحمد الله أنه مازال هنا في القطار بعيداً عن الحيرة
بين السهول والجبال في الحلم الذي عاشه وكأنه الدهر كله.

وقف سامح وسط القطار المعطل حائراً كما كان حائراً في
حلمه، أكمل المشوار إلى آخر منتهاه ليبدأ عمله الجديد في البلد
البعيد ليستمتع بامتيازاته بعيداً عن الأهل ومسقط رأسه أم
يعود إلى دياره بين أهله وأقرانه ليغازل ويعارك الشقاء، تشابهت
أحداث الحلم مع الواقع فقرر أن يستمع إلى قلبه ليريح عقله
بدلاً من أن يستمع إلى عقله ليتألم قلبه.

وكان القرار الذي أبعده عن قضبان القطار الواقف بسبب
الانفجار وهو العودة إلى الديار فقطار الحياة وإن تعطل فالأرض
قوية تحت القضبان.



obseikan.com

حديث من وهج

«حينئذ تمنيت أن تكون عربتي باتساع العالم أديرها
بمفتاح الحياة».

أحسست بحالة اختناق لا شعورية انتابتنى من جراء هذا
الزخم من الصراعات السياسية والمظاهرات الكلامية فقررت أن
أقود عربتي إلى حيث أريد فهي فقط التي أستطيع قيادتها،
فكل شيء آخر تمرد وأصبح بدون قائد أو طريق، ارتديت بذلتي
الأنيقة ونثرت البيرفيوم على وجهي محاولة مني أن أتجمل لعلي
أخرج من هذا الشعور الخانق.

ركنت عربتي على جانب الشارع فطالما أحببت أن أترجل
في طرقات الحواري الضيقة التي تعج بالناس المنكبة على أدوات
العمل المختلفة لتعزف بها وهي لا تدري أجمل القطع الموسيقية
التي لا تضاهيها أروع سيمفونيات بيتهوفن، أحببت الترجل وأكتاف
الناس تلامس كتفي من شدة الزحام ومن ضيق الطرقات وكأن
الناس هنا لا يكتفون بتحية السلام بل أيضاً بسلام الأكتاف،
انتشيت بكل ما رأيت من وجوه خط عليها الزمن خطوطه صعوداً

وهبوطاً وأيداً تتحرك كروبوتات تعمل بلا توقف دون أن تؤثر على حركاتها الفكر الذي يسيل من العقل والهموم التي تسكن القلب.

أحسست بهؤلاء الناس أيما إحساس وتعجبت كيف لا يحصلون على أعلى الشهادات في هذا الفن العملي الإبداعي المنتج، فقد كنت هنا يوماً ما روبوتاً صغيراً مثلهم ولكن كانت أفكارني تسافر كل يوم خارج نطاق الحارة ثم تعود لتلقي بأمانيتها داخل رأسي قبل خلودي إلى النوم.

نزعت عني البذلة السمراء وشمرت عن ساعدي واستأذنت صاحب الحديد أن أمسك بقطعة حولتها نيران الفرن إلى ساق حمراء ورحت أضرب عاليها وأسفلها كما كنت أفعل وأنا صغير حتى استوت ولانت وتشكلت على هيئة مفتاح الحياة، شعرت وأن قوى العالم سكننتي وأن الراحة تملكنتي وأن الأفكار تجاملني وأن الهموم ذابت بقلبي فصارت أنفاسي تغني في شهيقها وزفيرها وكأن جسدي كله رئة لأنفاسي.

حينئذ تمنيت أن تكون عربتي باتساع العالم أديرها بمفتاح الحياة هذا وأقود أهل تلك الطرقات الضيقة إلى عالم آخر هو عالمي الآن لكي يعلموا ويتيقنوا أن عالمهم هو العالم الحقيقي الذي تسكنه وتتألاً فيه الحياة التي غابت عن عالمي المتصارع، عالم

يضرب على القلوب بنيران العقول حتى تحولت القلوب إلى كتل
من حديد انصهرت فيها رقة المشاعر.

ودون أن أمحي آثار ذرات الحديد الساخن من على كفي،
ألقيت بذلتي على كتفي وودعت الناس وسواعدهم التي مازالت
تحمل أدوات العمل تلوح لي وكأنها طريقة أخرى للسلام، مشيت
وكلي نشوة تجاه عربتي خارج الطرقات الضيقة لأقودها لعلي
أستمع باسترجاع شعور لقاء الأصحاب هذا أثناء عودتي ولكني
وجدت عربتي تحت أقدام المتظاهرين وقد تحولت هي الأخرى
إلى قطع من حديد تغطيه نيران الغضب الذي لا يرى ولا يسمع
ولكنه يتكلم.

رمى مفتاح عربتي بين قطع الحديد المتبقية منها ورجعت
إلى صاحب الحديد أبحث عن مفتاح الحياة الذي صنعه لأصنع
منه المزيد وأبيعه لعلي أجد من يشتريه بعيداً عن الطرقات
والحواري الضيقة.



obseikan.com

أوجاع الصمت

«أعجب أين تتولد الدموع؟! هل من صهد العقول أم
من وهج القلوب أم من أوجاع وأحزان العيون؟! إنها حقاً
مياه الروح، ولألى المآقي».

اتجه إلى كرسيه المفضل في الكافيتيريا التي تعود أن يقضي
فيها أحلى أوقاته مع أصدقائه حينما يتاح للجميع الوقت للسمر
ومناقشة الأمور الخاصة والعامة وأخذ الآراء في خطط الحياة
التي لا تنتهي.

أقبل النادل بصوته المرح عندما رأى علي فهو لم يره منذ
فترة طويلة نظراً لسفره في حضور ورشة تدريب على اكتساب
مهارات استخدام البصمة الجينية في التعرف على الصفات
السيئة والحميدة.

علت وجه النادل بسمة واسعة وهو يسلم بحرارة ولكنها نظرة
مملوءة ببعض الحزن الذي يحاول جاهداً أن يخفيه ولكن لم يشأ
علي أن يسأل عن ذلك الآن. النادل يكاد يكون أحد أصدقاء
المجموعة فهو زميل الجامعة ويعرف عنهم الكثير ويتناقش معهم
بين الفينة والأخرى عندما تتاح له بعض الدقائق.

سأل علي عن عثمان ولؤي وسعيد وفوزي وميخائيل وشكري وهيكل أصدقاء الطفولة وأبناء نفس الحي والأحياء المجاورة وعن النادل المشهور بسقراط لتدخله في المناقشات بأقل الكلام وأقل الوقت المتاح له أثناء عمله. أوماً سقراط برأسه بأن كل شيء على ما يرام وسأحكي لك عندما تحتسي مشروبك الساخن.

مجموعة رائعة ومتجانسة من الشباب الذي تعود على حرية المناقشة مع بعضهم البعض كمثال يتمنونه واقعاً في الحياة العملية عامة والسياسية خاصة، أقسموا أن يكونوا يداً واحدة وأن يعملوا للصالح العام وليس الخاص وألا ينقلب أحدهم على الآخر حتى لو أراد.

صاروا على هذا النحو بحب وتفاهم فنجحوا في كسب قلوب من يعرفهم حتى اقترح عثمان على الأصدقاء أن ينظموا ندوات في الكافيتيريا في أمور عامة مثل واجب الصداقة، التنافس في العمل، أساليب الاحترام، السلام الاجتماعي، التعاون البناء، والمواضيع الأخرى دون التعرض لأمر دينية بحثة أو سياسية فهم لا يدركون أساليبها ولا يريدون أن يفسدوا على أنفسهم صفو الجلسات الممتعة بتدخلات أمنية هم في غنى عنها.

ميخائيل شاب طموح يرى الدنيا قوس قزح يريد أن يتعلق به
ليكون دائماً هناك تحت الأضواء.

وعثمان شاب هادئ عندما يتحدث يبدو وكأنه واعظ في
الستين لشباب مراهقين ومع ذلك لا يملك الجميع إلا الإنصات
إليه حتى لو كان حديثه عادياً فيكفي أنه يطبع سمة الهدوء
والوقار على الجلسة، وهيكل هو فيلسوف المجموعة يرى كل شيء
من منظور فلسفي خيالي دائم البحث عن أرضية واقعية.

أما شكري وسعيد وفوزي فهم مثل التفاح والبرتقال والفروالة
كل له مذاق خاص ولكن لا يحلو الكلام ولا يكتسب أهميته إلا
بإنصاتهم وتحليلاتهم واستنتاجاتهم ثم ضحكاتهم التي تضي
على الجلسة الإحساس بالتفاؤل والصحة الجميلة. ويكفي أنهم
من كانوا وراء فكرة استخدام رمز يوحد أهداف المجموعة حتى
إن اختلفت أفكارهم، وقد كان الرمز سراً حتى لا يفسد معناه
البوح به قبل ميعاد الإعلان عنه لمن هم على صلة بالمجموعة لعل
الرمز وهدفه يصير عدوى بين الناس.

ولوئي هو الصامت المتأمل بكل حواسه والذي يضي على
المجموعة وقار الصمت الذي لا يعرفونه ولكن لا يمنعونه بل
يتأملونه.

وما كاد النادل أن يرحب بعلي ويسأله عن المشروب الساخن الذي يفضله حتى فوجئاً بمن يلقي الهمزات واللمزات من طاولة قريبة في الكافيتيريا عليها شباب يترددون على المكان ويعرفهم علي من وجوههم، تعجب علي من طريقة الحديث والإيماءات التي يطلقها الشباب كالرصاص الموجه بدقة إلى عقل علي فهم أن يعبر عن غضبه تجاه هذا الأسلوب المشين والذي لم يتعود أن يلمسه في هذا المكان من قبل.

أمسك النادل بذراع علي وجذبه ليجلسا بعيداً عن هذه الطاولة حتى يهدأ، استجاب علي إلى إلحاح النادل وأخذ طاولة أخرى ولكن تكرر الموقف بإيماءاته وهمزاته ولمزاته، حينئذ لم يتمالك علي نفسه واتجه غاضباً إلى هؤلاء الشباب معاتباً وناهراً. تعالت الأصوات وتشابكت الأيدي بقوة وعلي يحاول أن يدافع عن مجموعته التي طالتها رصاصات الهمزات تلك فقد كانت معظمها موجهة إلى علي وبعض من أصدقائه في المجموعة دون غيرهم.

توقف علي فجأة بعد أن رأى إحدى الأيدي، قد ارتفعت عالياً وبها هلال يحتضن صليباً ومكتوب على يد الهلال عبارة «تمني الأصدقاء»، انزعج علي كثيراً وترنحت يدها وسقطت هامة بجانبه وكأنها أصابها الشلل فما رآه هو الرمز الذي اتفق عليه الأصدقاء ليكون رمزاً لفكر مجموعتهم.

الآن تذكر علي الحزن الذي اختفى وراء ابتسامة النادل سقراط عندما سلم عليه، وتذكر سبب لمعان عينيه عندما سأله عن الأصدقاء عامة وأحد الأسماء خاصة والذي كان دائم الإنصات وقليل الحديث حتى أطلقوا عليه صاحب الصمت العميق، أدرك علي الآن كيف أن للصمت العميق أن يتحدث ويقوة عن سر الأصدقاء ليكون أداة للهمز واللمز والهمهمات.

توقف علي عن الدفاع وعاد إلى طاولته وهو يجر أذيال الخيبة في صدر الأصدقاء وأسند ظهره على المقعد وأطلق خياله يفكر أين باقي الأصدقاء الآن؟ وأين سيكون هو بعد الآن؟

وسرعان ما تذكر ورشة العمل التي حضرها عن استخدام البصمة الجينية لتحديد أصحاب النفوس الحميدة والخبیثة، كم تمنى الآن أن يحصل على نقطة دم واحدة ليكشف منها النفوس حتى يحقن سيل الدماء، ولكن هيهات فالحصول على نقطة دم كهذه أصعب من سيل الدماء في المعارك.

مد سقراط إصبعه إلى علي ليأخذ قطرة من دمه، ولكن نهض علي وترك المشروب الساخن والمكان وأطلق قدميه تضربان الأرض وعينيه إلى الفضاء مخاطباً السماء.



obseikan.com

سيدة

«تمتلئ الحياة بأناس بسطاء، ولدوا بسطاء وفارقوا

الحياة بسطاء».

جلست متربعة فوق مصطبة بيتها الطيني الذي يتوسط
البنيات العالية في قريتها التي عاشت فيها أعواماً كثيرة لا
تدري كم عددها وإن كان الجيران يؤكدون لها أنها أم الأمهات
فهي صاحبة الثمانية والثمانين عاماً تحملها فوق أكتافها وتسري
أيامها بين خطوط العمر التي رسمتها الأيام على وجه سيدة
المبتسم وكأنه طفل مازال يحبو.

تعود أهل الحارة بل أهل البلدة على قرفصاء سيدة وعلى
انحناء ظهرها الخفيفة وهي تروح وتجيئ سوق الثلاثاء بالقرية
لتشتري حاجياتها بنفسها، إزيك يا سيدة، إيه أخبارك؟ وترد
سيدة صاحبة الثماني والثمانين، أنا بخير يا حبيبي طالما أنت
بخير، اتفضل يا خويا، والناس كلها عند سيدة أحبابها وأخوتها.
ويتمتم الرجل بعد عدة خطوات: أنت لسه عايشة يا سيدة، الموت
نسيكي من زمان، ياريت بس احنا نعيش قذك، ده أنت معجزة يا

سيده، أكيد نايمه على فلوس كثيرة تحت البلاطة من الصدقة
والزكاة من هنا ومن هنا، أه يا سيده لو أطولك وأنت بتموت،
هتكون كل الفلوس دي من نصيبي.

وصوت النساء ينادي عليها، صباح الخير يا سيده، مش
عايزة حاجة نعملها لك واحنا معدين عليك كده؟ لأ يا حبيبي
بس ياريت لو بس تاخدي معاكي شوية الميه اللي تحت الفنطاس
ترميهم. وماله يا سيده، احنا مالناش بركة إلا أنت، وتدخل الست
لتحمل المياه الوسخة لترميها على جسر القرية ووراؤها دعوات
سيده، ربنا يخليكي يا بنتي ويسترها معاكي وما يحوجكيش لحد
أبدًا وبياركلك في ولادك، ولا يوقف دعوات سيده إلا غياب الست
بعيدًا، وتتمم الست لزميلاتها وهي تحمل المياه، يا ختي الست
القرشانة دي طولت قوي، هو الموت مش هيفتكها بقي، يا ختي
دي عاشت قد أمني مرتين، وتعود الست بالفنطاس فارغًا وتقابلها
سيده مرة أخرى بسيل من الدعوات حتى تختفي الست مرة
أخرى عن أعين سيده.

ويجري حول سيده أطفال الحارة ينادونها بسيده ويرمونها
تارة بالكلام القاسي في شقاوة الأطفال ويمسكون ذيل ثوبها الهش
تارة ويشدون سلتها المحملة بخيرات السوق على كتفها تارة أخرى.

ليه بس كده يا ولاد، بس يا حبايب سيده، ولكن كلماتها وصوتها العجوز يثير فضول الأطفال فيزيدون من لهوهم معها، ولا ترد سيده إلا بضحكات وابتسامات. ويلف الأطفال حولها ويغنون، سيده يا سيده يا أم عنين متبهدة، سيده يا سيده يا أم عصاية مسوسة، سيده يا سيده يا ستنا الحينة. وتضحك سيده وتوزع ابتساماتها على أطفال الحارة وتدعو لهم وتعطيهم قطع الحلوى التي تحفظها لهم ولا تأكلها أبداً لتهدئها لهم وتشعر بالسعادة وراحة البال.

غابت الشمس ورمى الليل سكونه على القرية، وخلال كل ونيس بونيسه وانتصف الليل العنيد وسكن خارج جدران البيوت التي تعج فيها الحركة وهو الأطفال وعراك الأزواج وصوت التلفاز وصوت المعالق والأطباق، ويبقى الليل يسري بين البيوت ليتخلل الأبواب الوحيدة ويبقى هناك مع القلوب الوحيدة ليجد سيده ملقية ظهرها المحني على جدار غرفتها التي أكلتها سنون العمر والنور الخافت للمبة الجاز التي مازالت تصر عليها يضيئ ظلمة غرفتها.

وينام الليل على صدر سيده وفي حضنها فتبتسم وتفرح بظلمة الليل التي زارتها وبددت وحدتها. وتغلق سيده رموش عينيها التي

ما زالت ترى الحياة جميلة لتتام على جانبها اليمين واضعة إحدى يديها تحت خدها الأيمن واليد الأخرى على جانبها الأيسر لتعيش أحلامها كل مساء مع زوجها الذي فارق الحياة منه عشرة أعوام وأولادها الذين هجروا القرية والبلاد كلها إلى الخارج بعد أن حصلوا على أعلى الدرجات، وأحفادها الذين لم ترهم إلا مرتين ولكن صورهم في قلبها تتحرك وتغني وتتام وتصحو وتناديها بتبته سيدة.

وتتام سيدة نومة كل يوم في حضن الليل على أمل الأحلام وذكريات الطفولة والصبا والشباب الذي كانت تزينه ملامحها التي يتهافت عليها أهل القرية لجمالها الفتان، ولعلها تقابل في أحلامها حبها الأول والأخير لزوجها وسنوات العمر الجميلة التي كانت فيها أميرته وحببته وونيسته وكان لها هو أمير الأمراء وفارس الفرسان ورجل الزمان والمكان.

تبسم سيدة وتغمض عينيها على أمل لقاء الأحبة هناك في أحلامها لتعيش هناك أيامها بحلوها ومرها بعيداً عن رجال الحارة بهمزاتهم ونساء القرية بلمزاتهم وأطفال الحارة بمقابلهم، تمام سيدة وحدها تاركة شفاهاً مبتسمة كالعادة وتتذكر كيف كان بيتها ملجأ الأيتام ومهبط النساء ودوار الرجال، تمام سيدة على ذكرياتها وهي التي كانت السيدة، السيدة في بيتها وفي حارتها وفي أهلها، تمام سيدة

بعد أن أرهقتها سنين العمر في وحدتها ولم يتبق لها سوى ذكرياتها وأحلامها وابتسامتها، وأخيراً نامت سيدة وهي تحتضن ظلمة الليل وضوء نور عينيها، ونامت سيدة كنوم العروس ليلة زفافها.

مر أهل الحارة من رجال ونساء كعادة كل صباح ليلقوا بتحياتهم اليومية على سيدة وهي متربعة فوق مصطبة بيتها العتيق، ولكن لم تكن هناك سيدة، ذهبوا إلى أعمالهم ظناً أن سيدة مازالت هناك تغط في نومها، وصعدت الشمس وانتصف النهار وجرى الأولاد يحومون هناك حول مصطبة سيدة لمشاكسات كل يوم وملاحقات كل صباح وحلوى سيدة التي لا تباع، ولكن لم تكن هناك سيدة. ذهب الأطفال ظناً أن سيدة مازالت هناك في السوق وحتماً آتية، واستعدوا بالمقالب والنكات الجديدة حتى تأتي سيدة. ولعب الأطفال وذهبوا هناك عند المصطبة، ولكن لم تكن هناك سيدة.

جرى الأطفال داخل البيت ليخرجوها فقد تأخرت عليهم ولكنهم وجدوا سيدة على حصيرتها نائمة نومة العروس المبتسمة، نامت سيدة نومة أبدية لتكون هناك مرة أخرى السيدة.

استغرب الأولاد وجرروا إلى الحارة وصاحوا في الأهل، سيدة مش بترد علينا وبنهزها ومش بترد، في إيه؟ احنا عايزين سيدة،

جرى الرجال والنساء ليجدوا سيدة وقد فارقت الحياة وتركت لهم الدار والمصطبة فارغة إلا من ابتسامتها الواسعة الصافية. سأل الأولاد: صحوا سيدة، عايزين سيدة. رد الرجال والنساء: خلاص يا ولاد ماتت سيدة، انسوا بقى سيدة. صاح الأولاد وبكوا سيدة بكاءً لم يعرفوا من أين جاء، بكاءً حاراً تساقط على شفتي سيدة المبتسمة فتحركت لهم الشفاه بلمعة من بسمة مازالت حية في شفتيها التي فارقت الحياة.

بكى الأطفال بكاءً كادت سيدة أن تصحو من أجله، واستغرب الرجال والنساء لماذا كل هذا البكاء؟! واستغرب الأطفال لماذا كل هذا الجمود من الآباء؟! ولكن سيدة لم تستغرب هذا التناقض بين الكبار والصغار حتى وهي في موتها.

وماتت سيدة في عيون الكبار ولكنها أصبحت أسطورة الطفولة البريئة، وأصبحت هي هناك السيدة.



عضلات الحظ

«الإنسان في الناس ما هو إلا جملة لو اكتملت».

أخذت الشمس مكانها المفضل وسط السماء الصافية لترسل أشعتها الذهبية والفضية على الكون كله شماله وجنوبه وشرقه وغربه، سعد لا يعرف من الكون سوى مسقط رأسه، هذه البلدة التي يسعد أيما سعادة عندما ينهي عمله كل يوم ويعود محملاً بفرحة العودة ليلقي بجسده المتعب على الأرض بين زوجته ووالديه. وكما توسطت الشمس السماء توسط سعد الأرض وجلبابه حول وسطه ويديه حول فأسه يضرب به الأرض ليقلب بطنها ليغرس فيها بذور الزرع الذي يرى فيه أحلامه ويرى فيه نبتة الشوق إلى الأولاد.

لم يشأ الله لسعد بذرية تمنها طوال العشرين عاماً التي قضاها بين أحضان حنو صفاء التي هي له بمثابة زوجة وأم وأخت والتي لم تشأ أن تتركه حتى بعد أن علمت أنه في حاجة إلى علاج طويل الأمد وباهظ التكاليف ليكون قادراً على الإنجاب لو نجح العلاج.

كل من يرى سعد يرى السعد في عينيه الذي يعكسه جسده القوي المفتول العضلات وقامته الطويلة بصدرة المفتوح لهواء الزرع الذي يبارك البلدة من كل اتجاه، أحب سعد الحياة فأحبهته الحياة وأحبه الناس حتى الكلاب الضالة تهزله ذيلها لما تراه قادمًا ليمسح على ظهرها كأنه فارس جواد والكلاب جيد حسان. تواردت الأخبار عن الحالة السيئة التي وصلت إليها البلدة حديثًا وحالة الشك التي انتابت أهل البلدة فيما بينهم، جمع العمدة الحاج شهاب عيون البلدة وعموم الناس لمناقشة أسباب حالات السرقة والاختصاب التي انتشرت في البلدة.

تجمع الناس في الدوار وكلهم أمل أن يأخذ العمدة كل التدابير لوقف نزيف التشاؤم والخوف والفرع الذي سيطر على الرجال قبل النساء والأطفال. أقبل شيخ الخفراء ووراؤه صف الخفراء يحملون أسلحتهم الفارغة وكأنهم بهذه الهيئة قادرين على إنهاء مخاوف الناس.

وما إن أحاط الخفراء بالعمدة حتى اطمأن واشتد ظهره ونفخ صدره وبرم شنباته وألقى بعيونه على أهل البلدة الذين افترش معظمهم الأرض وكأنهم في انتظار وحي سماوي ينهي كل مشاكلهم، ارتفع صوت شيخ الخفراء عاليًا قويًا منبهًا الناس أن حضرة

العمدة على وشك إلقاء حديث هام فليُنصت الجميع باهتمام، لم يكن الناس في حاجة إلى هذا التقديم من شيخ الخفراء لأنهم في صمت يملؤه الخوف ويحيطه الفزع ولكن هي البروتوكولات التي يهواها حضرة العمدة حين حدوث أي أمر ويدعو لاجتماع طارئ بالناس.

فوجئ الأهالي بكاميرات التلفاز تحيط المكان ووراؤها أناس ينظرون في عدساتها تسبقهم أضواء ساطعة مسلطة على وجه العمدة وأخرى على الناس المفترشين الأرض في سكون، ازدادت الدهشة عندما لاحظوا أن هناك من يمسك بيده مايكروفون ويظهر وجهه بجانب وجه العمدة على شاشة عرض كبيرة لم تضى ولم يلاحظها الأهالي إلا بعد أن بدأ العمدة حديثه مبتسماً تارة وصارماً تارة أخرى.

وما إن رأى الأهالي وجوههم على شاشة العرض حتى علت شفاهم نشوة البسمات والضحكات وبدأ كلا منهم يبحث عن نفسه بين الجموع على الشاشة لعله يكون هناك، تعالت همهمات الناس في فرح وشغف عندما يظهر وجهه أو ظهر أحدهم على شاشة التلفاز.

انفجرت أسارير وجه حضرة العمدة عندما رأى الناس منشغلين بأنفسهم هكذا ولكنه أوقف كل همهمات النشوة هذه التي سيطرت على رعاياه بإشارة منه لتثبيت الكاميرا على وجهه المنشرح لتتحسر من على أوجه الناس.

تتوقع سعد بين أهل البلدة الذين تعدوا المئات بجلاببيهم الرثة وسواعدهم التي تخاطب الأرض أن تحتضنها من شدة الإرهاق وهم ينظرون إلى العمدة وكأن الخلاص هناك بين يديه حتى ولو كانوا يعلمون أنها فارغة من كل شيء إلا الوعود فهم في حاجة إلى مخدر كلامي بجرعة عالية قد تسيهم ما هم فيه من فزع قبل فقر.

تعالت الرقاب التي تحاول أن ترتفع لتسمع كلام العمدة وترى ملامح وجهه وهو يخاطبهم وتعالت معها همهمات الحناجر إما استحساناً أو نفوراً من جمعهم على هذا الشكل ولكن بدت الهمهمات كنفيق الضفادع التي تهرب من سكون الليل لتخاطب غريزة البقاء والألفة.

وفجأة ساد الصمت لما ارتفع صوت العمدة يشق الهواء كأنه سيوف من نار الحكم والألغاز، بدا حضرة العمدة بصوت هادئ تملؤه السكينة في سرد مجهوداته في حل مشكلات البلدة وإيجاد

كل الطرق في جلب المنفعة للناس وكأنه واعظ في مسجد بعد صلاة العشاء.

وفجأة وبلا مقدمات تحول صوت العمدة إلى صواريخ نارية تطلق قذائفها يميناً وشمالاً على رؤوس الأهالي وكأنهم هم أسباب كل مشكلات البلاد وليست فقط هذه البلدة، انزوى الناس في جلابيبهم في محاولة هروب من قذائف العمدة التي كادت أن تسيل دماء أحلامهم على الأرض التي يفترشونها بجلابيبهم الرثة وهم لا يعلمون أنه يطلق رصاصاته تحية لابنه أيمن القادم مع رفاقه في الطريق الآن ليروا هذا الحشد الكبير وكيف تكون القوة لأبيه هنا في عقر داره وكيف تتحني له رقاب أهل البلاد.

تعجب سعد من هذا التحول الصوتي والفكري للعمدة ولم يعجبه هذا التحول ولكنه لم يستطع التعبير عن غضبه وهنا تأكد له أنه لا حل ولا أمل في حديث العمدة كما كان يظن دائماً، فجأة تذكر سعد زوجته صفاء التي تنتظره حيث قد ألحت عليه صباح اليوم ألا يحضر هذا الاجتماع ويعود إلى داره بعيداً عن خداعات العمدة التي لا تنتهي إلا بمشاكل لا يحمد عقباها.

وما إن تذكر سعد ذلك حتى ملم جلاببه ثم نهض حثيثاً وهو منحني الظهر ومطأطئ الرأس حتى لا يراه العمدة وهم على

ترك الحشد، وما كاد سعد أن ينهض بظهره ليترك مكانه حتى رآه الناس على شاشة العرض بهذه الهيئة وصوت العمدة يصيح عالياً أمسكوا هذا الجبان، فهو سر كل هذا البلاء ولذلك يريد أن يهرب من الواقع بعد أن وصلته كلماتنا القوية ولكنه ليس ببعيد عن حكمتنا في الوصول إلى كل يد تعبت في البلاد .

توقف قلب سعد وتوقفت قدماء وهو يرى الخفراء قادمين من هناك للإسك به ليكون شماعة يعلق عليها العمدة أسباب كل الأخطاء، وقبل أن يتوقف قلبه تماماً استجمع سعد كل طاقته الدفينة في عضلاته التي لم يستخدمها أبداً ضد إنسان وجرى مهرولاً ناحية التربة الكبيرة لعله يصلها ويغوص في أعماقها إلى الجانب الآخر ليختفي وسط الحقول التي ملأها الظلام.

جرى سعد وجرى وراؤه خياله على ضوء القمر ولم يدرِ إلا وهو على شاطئ التربة فوقف ليلتفت وراءه خوفاً من الخفراء ولكنه لم يجد إلا خياله، ونسي أن الخفراء لا يتركون أبداً مكاناً فيه حضرة العمدة وما حدث إلا مجرد جزء من الفيلم الذي يخرج العمدة أمام الناس بكل اقتدار.

أخيراً وصل أيمن وأقرانه الخمسة بسيارته وتوقف بهم على ضفاف التربة الوحيدة التي تحيط القرية بمائها الراكد معظم

أيام العام، أهذه قرينتكم فعلاً يا أيمن؟! نعم يا رفاق ولكني لا آتيها إلا كل عام مرة أو مرتين لأحصل على الزاد والزواد.

ولكن لماذا تسمونه قفريا يا أيمن فمع جمال زرعه إلا أن حاله فقير وليس قفراً، إن الزرع جماله أرق وأجمل من الناس التي تجر البهائم وكأنهم أصدقاء في كل شيء حتى المسكن.

لا تتعجبوا يا رفاق فهكذا الحال في كل القرى والنجوع، عموماً إنها فرصة كبيرة لكم لكي تشاهدوا فيلماً كلاسيكياً من أفلام الأربعينات ولكن على أرض الواقع، التربة رائعة يا أيمن والجو اليوم حار ونحن سمعنا كثيراً عن التربة والسباحة فيها ولكننا لم نجربها أبداً فهيا بنا نجرب السباحة فيها ونلتقط الصور لتكون أحلى الذكريات.

توقف الرفاق وأوقفوا عجلات السيارة فوق الكوبري الذي يعلو التربة الكبيرة وبدأوا في خلع ملابسهم وهم يتصايحون من شدة السعادة في تجربة هي الأولى في حياتهم وهم يتتابون في أخذ الصور التذكارية بكل الأوضاع في الماء وخارج المياه وكأنهم أبطال يمثلون فيلماً سينمائياً مخرجه أيمن ابن حضرة العمدة وإنتاج فدادينه التي تتعدى العشرين.

ولأنه بطل هذا الفيلم السينمائي ومنتجه اعتلى أيمن أعلى السيارة الجيب ورفع يديه عاليًا بجسد يكاد يكون عاريًا والرفاق هناك على الجانب الآخر ينظرون إليه متظاهرين أنهم يشاهدون مارداً عملاقاً مع أن جسده النحيل قد يذوب في مياه التربة الدافئة.

قفز أيمن في المياه مهلاً وكأنه طرزان في الأدغال، اهتزت المياه وتشكلت الأمواج والرفاق يصورون هذا المشهد الرائع الذي انتقل من صفحة المياه إلى الأعماق.

نظر الرفاق إلى صفحة المياه ليكونوا جاهزين للتهليل المصطنع لحظة أن تظهر رأس أيمن ليباركوا هذا المشهد الفزولكن انتظروا ولم تظهر إلا بقع من الماء لونت المياه بدم أحمر فاقع لونه ولم يدروا ما هم فاعلين خاصة أنهم يعلمون ما يعاني منه قلب أيمن من أعراض تضخم في عضلاته الواهنة، فزع أصدقاء أيمن فزعاً يملؤه الخوف والرهبة.

وكأن الفزع والخوف انتقل من هناك من الحشد الكائن أمام حضرة العمدة إلى هنا في قلوب الرفاق، ولم يجروء أحد من الرفاق أن يلقي بنفسه في المياه لإنقاذ أيمن، فقد غلبهم الخوف من الموت ومن منظر الدماء.

ازداد الفزع لما شاهدوا هذا الجسد العملاق يجري بكل قوته
ليلقي بنفسه في المياه عندما رأى هذا المشهد من بعيد وأيمن
يلقي بجسده النحيل طواعية وبكل جهل إلى قاع الترعة المليء
بالصخور والطين والزجاج المكسور فهذا المكان بالتحديد يطلق
عليه أهل البلدة سكين الترعة الذي يقطع الأحشاء.

ألقي سعد جسده بحرفية رائعة ولم تمر ثوانٍ حتى خرجت
رأس سعد من المياه وبين يديه رأس أيمن المزجاة بالدماء وهو
غائب عن وعي الحياة، سبح سعد بأيمن وتناسى كل ما كان منذ
قليل حينما تربص به والده العمدة شهاب وكاد أن يقبض عليه
ليجمله أخطاء العالم كله.

وصل سعد بأيمن إلى شاطئ الترعة ليستقبله الرفاق فارساً
مغواراً وعدسات الكاميرات مسلطة على جسده الذي يظهر
مجسماً بقوته من تحت الجلباب الرث الذي التصق بجسده فبدا
وكأنه بطل من أبطال هوليوود بدون مخرج أو منتج أو عنوان.

هرع الأصدقاء بالسيارة بأيمن وهو بين أيدي سعد ليستقبلهم
حضرة العمدة بالطلقات الحية التي أمر بإطلاقها بمجرد أن رأى
عربة ابنه قادمة احتفالاً بقدومه وهو بين أصدقائه في هذا
الحفل الذي أعد مخصصاً لمجيئه ولا عزاء لأهالي القرية في
حل مشاكلهم.

نزل الرفاق ليفاجأ العمدة والحضور بسعد يحمل أيمن بين ذراعيه والماء مازال ينساب من جلبابه وأيمن مازال في غيبوبة الحياة وأضواء الكاميرات والتلفاز مسلطة على عربة ابنه ورفاقه، وقبل أن ينهر العمدة سعد ويلقي عليه لوم ما فيه ابنه محاولاً الاعتداء عليه كانتقام من التهمة التي ألقيت عليه منذ قليل، أسرع رفاق أيمن بقص ما حدث وكيف كان سعد جريئاً وشجاعاً وغير متردد لإنقاذ أيمن بكل قواه.

تأوه أيمن ونظر بعينيهِ الواهنتين إلى والده وهمهم بشفتيه امتناناً بشجاعة سعد الفلاح الذي أنقذ حياته من الهلاك، ومع أن العمدة كان قد نسي موقف سعد ونسي ملامحه فما كان منه إلا أنه تناسى موقف هروب سعد الذي كان قد اصطنعه ليلقي عليه اتهامات هلامية كشماعة يعلق عليها أسباب مشكلات البلدة.

وسرعان ما تناسى الموقف حينما تذكر ملامح سعد وبدأ يلقي الثناء عليه فأصبح سعد الآن هو مصدر السعادة والأمان، وحتى لا يتناقض ثأؤه مع موقفه منذ قليل.

فسر حضرة العمدة الحكمة وراء اتهامه سعد منذ قليل وهو يهم للعودة إلى عائلته بأنه قد قام من الحشد ليس هروباً كما قال أمام الناس بل كان هذا فعل أمر متفق عليه لكي تخلو الساحة لـ

سعد للكشف عن رجال الإجرام بعيداً عن مكان الحشد. وهكذا
بدل العمدة الكلام حسب ما يريده هو كالعادة.

ابتسم سعد ابتسامة تنام فيها سخرية أفكاره من العمدة
والذي يلون الأحداث لصالحه أيما كانت وكيفما يشاء، مازالت
المياه تتساقط من جلاباب سعد وهو ينظر إلى عدسات التلفاز
ليجيب على أسئلة المذيع الذي وجد اليوم في سعد مادة غنية
للحكايي والقصص والأقاويل.

فما كان من سعد إلا أن أجاب على المذيع بنعم ومازالت
سخرية ابتسامته عالقة بشفتيه على ما يجري، نعم هكذا كان
الاتفاق مع صاحب الحكمة العمدة وهكذا نفذت الاتفاق ولكني
قبل أن أتمكن من إيجاد رجال الإجرام وجدت هؤلاء الشباب
يحاولون إنقاذ ابن صاحب العزة أيمن فما كان مني إلا أن
انضمت إليهم وهكذا كان الحال.

اصطحب العمدة الجميع إلى منصة الحفل الذي تحول إلى
احتفال كبير بغيث حضرة العمدة وسلامة أيمن وشجاعة سعد
الذي تحول دون قصد من هارب كاد أن يقبض عليه إلى بطل
القرية المغوار وتحولت إليه عدسات المخرج الذي انصاع إلى
رأي ابنه الذي كان أحد رفاق أيمن والذي أعجبه شجاعة سعد
وقدراته على حب الحياة.

عاد سعد إلى صفاء وإلى أمه وأبيه وتحول القلق بقدرة
القدر إلى طريق للأمان والشهرة والعلاج، ومازال أهل القرية
يبحثون عن أسباب الجرائم وعن أمل بين أيادي صاحب العصمة
حضرة العمدة الذي يعيش هنا وهناك وفي كل زمان وكل مكان.....



طوبته وأمطار الستر

«وأحياناً يكون الدعاء حينئذٍ لأيام الشقاء.»

قبل شروق الشمس خرجت فريدة من بيتها ولم تهتم بقفل الباب فلا يوجد هناك في الداخل ما تقلق عليه من الأيدي العابثة، حملت السلال المعبأة بخضروات اليوم الطازجة التي جمعتها من النصف قيراط التي تفتخر به دوماً أمام نفسها والآخريين أنها من الملاك. توجهت إلى السوق متمنية أن تجد مكانها مازال هناك خالياً ولم يسطر عليه أحد من الباعة الآخرين.

بعد نصف ساعة من المشي على أقدامها النصف حافية، وصلت فريدة إلى السوق وكم انشرح صدرها عندما وجدت مكانها مازال هناك ولم يستول عليه أحد ببركة وصولها مبكراً عن الجميع.

حطت سلالها بين قدميها وجلست القرفصاء وسمت الله واستعاذت من الشيطان الرجيم في نفسها وشمرت عن ساعديها غير عابئة بالبرد فالיום هو العاشر من شهر طوبه القارص البرودة.

تهافت عليها زبائننا ليشتروا منها الخضروات مع سيل الدعوات مع كل شراء، وما إن بدأت تنتشي بالبيع وتجمع القروش القليلة لتضعها في حجر جلبابها حتى هطلت فجأة الأمطار بغزارة بريح شديدة أطاحت بجلبابها وما به من نقود تناثرت وطارت مع الهواء.

لم تستطع فريدة الجري وراء الريح ولم يستطع أحد مساعدتها فالكل مشغول بما تبعثر منه. الملمت ما بقي من خضروات مبللة ووضعتها في سلالها المبلل وحملته على رأسها المبللة ومشت تصارع الطين بنعل نعلها المبلل والرياح مازالت تتلاعب بجلبابها المتهاك المبلل.

اتجهت نحو شجرة بجوار سور بيت عال لتحتمي به من أمطار طوبة القارصة ورياحها العاتية. جلست فريدة القرفصاء ومازالت السلال المبللة على رأسها لتحميها ومازالت أفكارها ودعواتها المبللة بالطيبة والسذاجة الفطرية ترتفع في جوف رأسها داعية الله أن تنتهي الحكومة من تعريش السوق ولو بالقش والحطب كما وعدتهم الحكومة من سنوات.

لم يسمع أحد دعواتها ولن يسمع فهم هناك مشغولون بمتابعة الأرصاء الجوية في الغرف المكيفة المغلقة داعين الله أن

تتوقف الأمطار حتى لا تبلل ثيابهم الأنيقة أثناء ركوب سياراتهم الفارهة الرابضة بالخارج.

أخيراً استجاب الله لدعاء فريدة ولدعاء السادة الكبار وتوقفت الأمطار وهدأت الرياح، فرحت فريدة بتوقف المطر وما إن همت واقفة لتلملم نفسها قاصدة ناحية بيتها حتى لطم وجهها وجليبها المبلل كتل من الطين المتطاير من عجلات السيارات الفارهة التي بدأت تجري على الطريق هاربة من أمطار طوبة.

ابتسمت فريدة وهي تنظر على جليبها وهي تمسح الطين من على خديها محدثة نفسها: الحمد لله على نعمة الجلباب الثاني في البيت وإلا كانت مشكلة كبيرة، الحمد لله على نعمة الستر.

مشت فريدة ناحية بيتها تشق بقدميها كتل الطين العالقة بالأرض ومازالت العربات المسرعة تجري بالناحية الأخرى على الأسفلت.



obseikan.com

شهد الحياة

«آمال الحياة كالحبال المعقدوة قد تقطع قبل أن

تفك».

لم يعد مختار قادراً على المشي أكثر من ذلك فقد أعياه البحث وهو يحمل همومه على كتفيه عن أبويه دون أن يجد لهما أثراً على الشاطئ المزدحم بالمصطافين الذين أتوا من كل أنحاء البلاد.

رمى مختار بهجته المحملة ببضاعة اليوم والتي عز عليها البيع على رمل الشاطئ ورمى بجانبها جسده النحيل ونام كطفل بأحضان خيال أمه وصوت أبيه الحنون، ومع الأصوات العالية التي تتادي على كل أنواع المبيعات وكأن الشاطئ سوق عكاظ للمصطافين.

غط مختار في نومه بلا حراك وخذل للنوم لعله يصحو ليجد أبويه أمامه وعلى كتفيهما بضاعة يأملون كل يوم في بيعها على الشاطئ ولكن عز على شباب البحر الهائج اليوم أن يتركوهما يطلبون الرزق الحلال، فهاجوا وماجوا عليهما دون سبب سوى

فصال بسخرية المشاعر والمال والشيخوخة ورث الحال فكان ما كان وتاه الأبوين أو راحا إلى غير مكان معلوم عن أعين مختار. رأى مختار مياه البحر تصب في عينيه ثم تسير في عروقه حتى جعلت منه بحيرة يتوسطها قلبه وتسبح فيها كل الكائنات البحرية التي تسللت مع الماء المالح إلى عينيه.

تعجب كيف يصبح جسده مرتعاً للأسماك وهو لا يستطيع أن يمسك منها سمكة واحدة لا ليأخذها زينة ولكن ليشويها بنار الجوع المتصاعدة من جوفه ويلتهمها بقضمة واحدة لعل الإحساس بالجوع الذي يقتله يستسلم ويذهب، وتعجب مختار كيف أن ماء البحر يملأ دمه من أخمص قدميه حتى منبت رأسه وهو يلهث من العطش ولا يستطيع أن ينال منه ما يسد رمقه.

ومع أن الإحساس بالماء يملأ جسده أعطى مختار شعوراً رائعاً، شعور يشعر ولأول مرة في حياته أنه المحيط الذي يتسع للعالم الأرضي والمائي، شعور جعله ولأول مرة يحتوي الآخر في جسده بعد أن كان دائماً مصدر إشفاق من الآخرين. إلا أن مختار لم يسعد بهذا الشعور طويلاً لما تسلل مع الماء، المصطافين من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال لمن يلهو منهم في مياه البحر بأجسادهم العارية، شعر مختار بأنه مهبط للأوجاع بعد أن تراكمت في عروقه كل هموم المصطافين الذين ألقوا بأجسادهم في

مياه البحر ليرموا بأحمال همومهم لتذوب فيه فإذا بها تذوب في
الدماء التي تسري بعروقه.

تحمل مختار أوجاع الناس فوق أوجاعه التي مازالت متجمدة
في قلبه وغير قابلة للتذوبان في مياه البحر كما يفعل الناس. تحمل
أشواك الأوجاع بكل أنواعها من أوجاع العواطف الأهل والفراق،
وأوجاع الفقر والغنى وأوجاع غربة النفس وأوجاع الرغبات،
تحملها وهو يبتسم كيف لهؤلاء الناس الذين تعلقو بالبسمات شفاهم
والضحكات وجوههم أن يحملوا كل هذه الأوجاع.

تحمل مختار الأوجاع وتمنى ألا تتحسر مياه البحر عن الصب
في عينيه ومنها إلى جسده حتى يبقى المصطافين يتوافدون ويلهون
في عروقه ويسبحون في دمه ليبعث بينهم عن أبيه.

ازدادت أوجاع مختار لما وجد الكل يجري في عروقه ما عدا
أبيه وتساقطت دمعات على خديه ولم يخفف من آلامه إلا لهو
الأطفال من في مثل عمره الصغير، وزادت آلامه حدة عندما
وجد نفسه غير قادر على الانضمام إليهم واللهو معهم في حوار
وعلى نواصي عروقه فقد وجد نفسه يرى ويشعر بهم عن بعد
ولا يستطيع أن يلمسهم فهو فقط شاهد على اللهو وحامل للهموم
والأحزان التي ذابت في دمائه الساخنة.

لم يفقد مختار الأمل في البحث عن أبويه، فقرر أن يرحل جسده ويصرخ بأعلى صوته لعلهم هناك في مكان ما مغلق ومحصن وعليه حراس، كانت هزة جسد مختار قوية كالزلازل وصرخته مدوية كالرعد انتفض لها محيط المياه بجسده فهاجت الأمواج ببحره وهرع المصطافين بدماء عروقه إلى الشاطئ وتزاحموا وتكوم الجميع فرادى خوفاً وهرباً من الفرق.

وسط الزحام فوجئ مختار بأبويه بعيداً متوقعين هناك بين أسوار من الأجساد الوحشية التي ولت مدبرة في التو عنهم وتركتهم وجرت تبحث عن مكان بعيد آمن عن أمواج مياه البحر العالية في عروق وهزات جسد مختار المزلزلة.

انشرح حال مختار لما رأى والديه والبسمة على الشفاه. لما تعرفوا على صرخات صوته جرى والديه مسرعين يختبآن في قلبه الغض الذي تحول في دقائق إلى صقر، زادت صرخات مختار المدوية واهتزازات جسده المزلزلة القوية وأبويه ينظران إليه بحب وإعجاب وأمان وهما متعلقان بستائر جدران قلبه والناس حولهم يبحثون عن مأمن من الموج الهائج ويتزاحمون على أبواب عروقه ليخرجوا إلى الشاطئ.

حينما اطمأن مختار على أبويه قرر أن يقطع شرابين يديه لتسيل دماؤه ليتخلص من الهموم التي ذابت في دمه ويخرج الناس من خوفهم إلى بر الشاطئ ويبقي والديه في قلبه بعيداً عن هموم الناس فكفى همومهم.

فزع مختار على صراخ جمع من الناس المتحزين حوله وبمن يضرب صدره بشدة بيد شمسية وكأنها سيف قاتل يبحث عن قتيل، صوت صارخ فيه ناهر أن يصحو من نومه ويذهب ليجد مكاناً بعيداً يرمي فيه بجسده بعيداً عن المصطافين فقد غضب الكل من صراخ نومه.

نهض مختار يبحث حواليه عن والديه وعن بهجته ولكنه لم يجد حواليه سوى صراخ أجساد كلها عدا كانت في التوتسيح في دمه ولم يجد بقلبه سوى صدى فراغ من نداء على أبويه ولم يجد بجانبه متاع بهجته.

نظر إلى السماء متعلقاً بحبالها التي لا يراها وجر رجليه كأنه تحت مخدر بقايا أوجاع الناس الذي سكن بداخله ومشى بجسده النحيل ذي العشر سنوات العجاف يبحث عن حظه تحت أقدام المصطافين التي محت آثار أقدام أبويه وآثار حظه.



oboiikan.com

نيران العواطف

«أحياناً تكون النهايات انقلاباً على البدايات، وأحياناً تكون عنواناً لبداية بلا نهاية».

لم تعد الأسرة تتقابل كثيراً بسبب ظروف الحياة، فدعوت كل الأهل إلى لقاء عائلي كما كان الوالد يفعل كل أسبوع، ورحب الجميع بالفكرة كباراً وصغاراً دون أن يشك أحد في تفسيري لسبب اللقاء بأنه لغرض التجمع والقرب العائلي الذي خاصمنا منذ سنين، شد الجميع الرحال من مدن ودول مختلفة وكان الجميع مشتاق إلى جمعه لنا، مشتاق إلى أهله، مشتاق إلى جذوره، مشتاق إلى حنان وحب صادق.

وكانت مفاجأة كبيرة للأم التي كاد أن يغمى عليها من هول المفاجأة فاغرورقت عيناها بالدمعات ثم فاضت بالبكاء وهي ترى الأبناء والأحفاد حواليتها فمنهم من لم تره من قبل ومنهم من لم تره منذ سنين.

ولم تتساءل الأم عن السبب بل أخذت تروح وتجيء بين الجميع وكأنها تتفقد أطفالاً في أول يوم من أيام المدرسة توزع

ابتساماتها وحنانها ولمساتها على الأكتاف والصدر والرعوس وهي تتوكأ على عصاها التي أكلها ثرى الأرض في بيتها، بيت العائلة الذي ترعرع الأبناء فيه، وتركها وحيدة بين جدرانها إلا من ذكريات الزوج الطيب والأب الحنون الذي رحل قبلها وعن زيارات بعض أهل الشارع بين الحين والآخر.

الآن الأم هي الموطن فقد جاءها وفاجأها الأبناء بهذا العرس الكبير عرس الحب وبر الوالدين والحنين إلى الوطن الأم مهما تعددت الأوطان.

أمسكت بيد أمي أهون عليها مشيتها فأخذتني إلى المطبخ والسعادة تملأ عينيها وقلبها وكل خلية في جسدها وهي تنادينني أن أخرج كل شيء عندها لعمل أكبر غذاء لفلذة الأكياد . ابتسمت وقبلت يدها وقلت أحضر كل منا طبقاً للآخر يا أمي فلا تقلقي على الغذاء فنحن هنا لنغوص في حنانك ونحيا على دعائك الذي نحتاجه بشدة وصدرك الذي افتقدناه منذ سنون، ارتاحي يا أمي فالיום عيد ميلادك، نظرت أمي إلى عيني ولم تعلق إلا بلمعة مقلتيها، لمعة أضاءت قلوبنا جميعاً وكأنه السحر الذي آلان القلوب وأراح العقول.

خرجت أنا وأمي من المطبخ أتأبط ذراعها كعروسين
والابتسامة تملأ وجهها وأجلستها على الكرسي الذي حرصت
دائماً أن تكون عليه أمامنا كل يوم طوال إقامتنا معها بعد أن تعد
الإفطار والغداء والعشاء. جلست أُمي وجلسنا على بقية الكراسي
كما كنا صغاراً ووقف وراءنا الأطفال وكأنهم يشاهدون فيلمًا
سينمائيًا كلاسيكيًا ولكن بنشوة عارمة.

غنينا احتفالاً بعيد ميلادها وعيد الأم ورحنا نقبل وجنتيها
ورأسها ويديها كأطفال نبحت عن رضاها وعن مصروف الجيب
منها، هرول الأطفال حولنا وفعلوا مثلما فعلنا مع أُمنا بل وأحبوا
أن يلقوا بنفس القبلات علينا فانتشينا جميعاً. جلست الأم على
كرسي الملكة ويد تتوكأ على عصاها ويد تمسح الدمعات من على
خديها. وأقبلنا على الغذاء وكان أَلذ وأشهى ما طعمناه، وعزفنا
بالمعاليق والسكاكين والشوك صعوداً وهبوطاً أصواتاً كأجمل
سيمفونية عزفها فنان.

امتلاً البيت صخباً وفرحاً وجرى الأولاد هنا وهناك يكتشفون
كل مكان وكل شيء في البيت وكأنه كنز وقع عليهم من السماء،
فوجدوا لعبنا القديمة مازالت هناك في غرفنا ووجدوا صورنا
على الحائط في كل مكان.

جرى الأطفال ونحن وراؤهم أطفال في جنبات البيت والأم
تنادي علينا أن نحترس من السلم ومن الشباك ومن الزجاج وكأن
الزمن عاد بنا إلى الأيام الخوالي الدافئة فأصبحنا أطفالاً من
عمر أطفالنا .

سمعت ضربات سريعة وشديدة على باب البيت فجزيت
مهرولاً لأرى ما الخطب الذي يريد أن يعكر صفاء هذا الفرح
العائلي، فكان النداء بالغوث من أحد الجيران الذي لم أعرفه
ولكنه أصر أننا جيران، الغوث في إطفاء حريق شب ببيته فهرولنا
جميعاً وتركنا الأطفال مع الأم في أمان حتى نعود، وكانت ملحمة
شاركنا فيها مع الآخرين في إطفاء حريق لم تدع له عربات
الإطفاء .

وما كدنا أن ننهي مهمتنا بنجاح وإخلاق مع الآخرين من
أهل الشارع الطيبين، إلا وسمعنا صراخاً وعويلاً فهرول الجميع
كل ناحية بيته ليعرف ما الخطب؟!!

هرولت أنا وإخوتي ناحية البيت لنطمئن على الأم والأولاد،
فقابلتنا ألسنة اللهب تتصاعد من جميع نواحي البيت كجبال
من نار فصرخت قلوبنا وخرصت ألسنتنا وذهلت عقولنا وجرينا
والجنون فينا وغزونا أشلاء البيت نبحث عن ركام الأحباب فقد
كان الانفجار مدوياً فأحرق بيتنا وبيوت الجيران .

لم نجد إلا نيراناً تأكل الخراب وتأكل أجسادنا وما تبقى من
أنفاسنا فأخرجونا من البيوت نبكي كالأطفال على الأم والأمهات
والأطفال..... وقالوا إنه الإرهاب ولكننا لم نسمع ما قالوا فقد
شل فينا السمع والبصر والإحساس.

«وهكذا تكون النهايات أحياناً إنقلاباً علي البدايات ، وأحياناً
تكون عنواناً لبداية بلا نهاية».



obseikan.com

موبايلات المشاعر

«الحرمان هو عود ثقاب الإبداع... وتحدي الحرمان هو

شارة الإبداع».

عاد غريب من العمل مفعماً بالمشاعر وكأنه ولد اليوم من جديد فلديه شعور بحب الحياة والناس وكل شيء حوله حتى القمامة المكومة أمام بيته كبقايا الحروب العالمية التي كان يلقي عليها أكواماً من السباب واللعنات ينظر إليها اليوم مبتسماً .

سيطرت هذه الحالة من الحب على غريب فجعلته يسرع الخطى إلى البيت ليحكي لوالده عن مدى تمسكه للبقاء في هذا العمل وكما كان هو مخطئاً عندما كان يلغنه كل يوم ولا يريد أن تطأ قدميه باب الشركة مع أنها في أرقى أحياء العاصمة .

مضى على تخرج غريب أكثر من خمسة أعوام وهو يتنقل من عمل إلى آخر مع بقاءه في البيت بدون عمل لوقت أطول بكثير بين إنهاء عمله والبحث عن عمل جديد حتى فقد كل أمل في إيجاد أي عمل، اليوم اتصل بي صديق قديم يا غريب لم أره منذ سنوات وطلب مني أن تذهب إليه لعمل مقابلة في شركة الاتصالات التي يديرها بوسط البلد .

خبر جميل يا والدي ولكن لماذا أنا؟ ولماذا الآن خاصة؟ أنا أعلم أن هذه الشركات تدفع كثيراً للعاملين بها، لا أدري يا ولدي فأنا في حالة اندهاش مثلك ولكن من يعلم لعل الله استجاب لدعائي لك الذي لا ينقطع ثم إنها كما قال لي صديقي القديم شركة جديدة تماماً ومختلفة في طريقة العمل والمنتجات عن كل الشركات الموجودة في القطر.

ارتدى غريب بذلته الأنيقة وتزين وكأنه ذاهب إلى عروس يخطبها وفي يديه حقيبة صغيرة بها السيرة الذاتية والأوراق المعضدة لها وهم بالذهاب للمقابلة لعله ينجح في الحصول على هذه الوظيفة خاصة أن طموحه هو العمل في تكنولوجيا الاتصالات فهو خريج هندسة الاتصالات وفوق ذلك لديه شغف وقدرة عالية في التعامل مع أي قطعة تنتمي إلى الاتصالات ورغبة شديدة في فك رموز الاتصالات.

ركب غريب التاكسي وهو ينظر إلى المحلات والفاترينات يميناً وشمالاً وكأنه يخاطبها في نفسه غداً سوف نكون أصحاباً. أهلاً غريب ومرحباً بك في شركة المستقبل للاتصالات، لم أسمع عن الشركة من قبل يا سيدي ولكني كلي شغف بأن أعرف منك طريقة العمل وأنواع المنتجات بها والدور الذي ينتظرنى في فريق العمل.

بداية رائعة للقاء يا غريب ولكن حدثني عن خبراتك السابقة المتعلقة بالاتصالات، خبرتي يا سيدي لا تتعدى فن الاتصال بالناس في أعمالى السابقة فقد كانت جميعاً ليس لها علاقة بتكنولوجيا الاتصالات إلا من الاتصال اليومي بالناس الذين لا مفر لي من التعامل معهم تحت وطأة تقلبات أمزجتهم كل يوم ولكن لي هوايتي التي أعشق فيها فك وتركيب قطع الموبايلات والراديو والتلفاز لمعرفة كيفية عملها وكأني أبحث فيها عن قطع مستقبلتي الضائع.

ابتسم مدير الشركة ونهض واقفاً ليسلم على غريب صائحاً وأنت الآن قد استلمت العمل في شركة المستقبل للاتصالات، مبروك واذهب لإمضاء العقد وسوف يخبرونك عن طبيعة عملك هناك، كبت غريب فرحته في قلبه وهو لا يصدق أن الوسطة تنجز الأمور بهذه السرعة والشياعة.

مضى غريب على استلامه للعمل أكثر من ثلاثة أشهر ولكنه أحس بالملل والضجر فلا هناك أي عمل يقوم به سوى ترتيب الملفات على الأرفف وملء استمارات العملاء، العمل الذي ليس له أي علاقة بتخصصه فقد تخيل أن مدير الشركة عينه لكي يستفيد من طموحه عندما أخبره عن هواياته.

لم يستطع غريب أن يخفي حالة الضجر هذه في اتصالاته مع زملائه ومع العملاء ومع زميلته فرحة في العمل التي دائمة الضحك والهزار والتي دائماً ما تظهر له الود والإعجاب كلما تحينت الفرصة لذلك، ولكن يحتفظ غريب دائماً بلياقته في التعامل امتثالاً بنصيحة والده له في كل مرة يشتكي له عن حاله في الشركة.

المدير يريد أن يراك يا غريب بعد الغداء فكن جاهزاً بليافتك حتى لا يشعر بحالة الضجر والملل التي أصبحت جزءاً من وجهك هذا، لا تقلقي يا فرحة ولكني أخشى أن أحداً ما قد قرأ شعوري ونقله إليه ولهذا طلب لقائي.

أهلاً يا غريب لم أرك إلا مرة واحدة منذ تعيينك ولكن أتابع أخبارك التي لا تسرني ولا تسرك، ألا يعجبك العمل في الشركة بعد، أنا يا سيدي أشعر أنني أعمل لأنني يجب أن أعمل ليس لأنني أحب ما أعمل، وأشعر أنني أقوم بأعمال الأرشيف وأشعر أنه تم تعييني لأهان وليس لأعمل وأنطلق، وأشعر....

كفى كفى يا غريب واضح أنك فعلاً قد وصلت إلى حالة ميئوس منها، هذا فيديو ستجد فيه طريقة العمل بالتفصيل في قطاع تكنولوجيا الإلكترونيات بالشركة، بعد أن تشاهده سوف

تبدأ لتعمل فيه على تطوير مشروع مهم في هذا القطاع، وما هو هذا المشروع يا سيدي.

إنه مشروع العصر الذي سوف يحدث نقلة في نوعية الاتصال بالعالم ولكن عن بعد، ولكن هذا موجود بالفعل يا سيدي كما يحدث في الاتصالات اليومية من الموبايلات عبر القارات.

نعم يا غريب ولكن أنا أتحدث عن اتصالات المشاعر والإحساس بها، وكيف يكون ذلك يا سيدي؟! ابتسم غريباً مازحاً أهذا المشروع سبب رجوعك لمصر بعد عشر سنوات هجرة في بلاد الغرب فجعلتك الغربية تفكر في انتقال المشاعر عبر الأسلاك؟! ما عليك الآن من كيف ولماذا ولكن عليك بأن تشاهد الفيديو

ثم تقوم بتوليف شفرات كودية كأرقام التليفونات وذلك باستخدام برنامج يصل الموبايل الذي تظهر عليه الأرقام بشاشة الكمبيوتر التي يظهر عليه وجه تعلقه إما ابتسامة أو تكشيرة.

وما عليك إلا أن تقوم بتسجيل الكود الرقمي الذي يظهر عنده أي جزء من الابتسامة أو التكشيرة حتى تصل إلى الكود أو الأكواد التي تجعل الوجه الافتراضي كله إما مبتسماً كاملاً أو غاضباً، إنني معجب بالفكرة يا سيدي وإن كانت تبدو لي كأفلام الخيال العلمي.

إنها فعلاً كذلك ولا نعلم إذا كنا نستطيع الوصول إلى ذلك أم لا ولكن ها هي فرصتك لتثبت لنا مقدرتك وهوايتك في فك الأكواد التي أخبرتني بها في أول لقاء والتي كتبتها أنت في أحد الملفات التي أرسلتها طلباً للتعيين وكانت لإحدى عملائنا .

الآن فهمت لماذا تم تعييني يا سيدي وأنا كلي سعادة في توظيف كل إمكاناتي وهواياتي ليس في فك الأكواد ولكن في تركيبها لنصنع وجهاً مبتسماً أو عابساً . حسناً يا غريب ولهذا اخترتك من ضمن الآلاف بالإضافة إلى أنك ابن لصديق عزيز .

ولكن ما الغرض من وراء صناعة هذا الوجه يا سيدي، أهي لعبة جديدة للأطفال أم اختبار جديد لحساسية الموبايلات!؟ ما عليك الآن من السبب وراء ذلك يا غريب فلا تجعل أسئلتك غريبة مثل اسمك، سوف تعلم كل شيء في حينه، وما عليك الآن إلا أن تتكبد على عملك الجديد ولك من الصلاحيات ما تشاء ولكن بشرط أن يبقى كل شيء طي السر والكتمان، وليكن سيدي فلا تقلق وأنا لها .

الغرفة محكمة وتحتاج إلى رقم سري لدخولها والذي لا يمتلكه إلا المدير ونائبه ومسئول قطاع تكنولوجيا الاتصال بالإضافة إلى غريب، أصبح عمل غريب اليومي ينحصر في إدخال كود بعد كود

على الموبايل ثم ملاحظة الوجه الذي يظهر جزء صغير منه أو بالكامل مع ابتسامة أو عبوس أو لا يظهر تماماً حسب رقم الكود.

وبعد محاولات شتى لثلاثة أشهر كاملة توصل غريب إلى الأكواد التي تصل إلى مستويات محددة إلى الابتسام أو العيوس في الوجه الكرتوني على شاشة الكمبيوتر، عندما علم بذلك مدير الشركة طار فرحاً وطلب من غريب تقرير تفصيلي عن الموضوع.

فكر غريب جيداً في الأسباب التي تجعل المدير فرحاً هكذا فتملكته رغبة عارمة في فك الموبايل والشاشة وبعد محاولات في الفك والتركيب كهواية قديمة له توصل غريب إلى مزيد من الأسرار التقنية التي مكنته من الوصول إلى أكواد جديدة تجعل الوجه يقهقه أو يبكي ويحترق بعد أن اكتشف أن الأسلاك الموصلة للوجه تشبه تماماً تركيب المخ البشري.

انبهر غريب بتلك الفكرة ولكنه أخفى معرفته بها عن المدير واستمر في هوايته فنزع الأسلاك ووضعها على رأسه مع تفعيل الأكواد فوجد نفسه يصيح مقهقهاً أو باكياً كما لو أنه الوجه الإلكتروني.

هنا اكتشف غريب سر الفرحة العارمة للمدير، استمر غريب في المزيد من التجارب في الغرفة التي أصبحت تشبه

معمل الإلكترونيات حتى توصل إلى صنع موبايل آخر بديلاً عن الشاشة شريحة بدوائر إلكترونية تنقل الأكواد إلى المخ كذبذبات تثير الضحك أو البكاء.

قرر غريب أن يكون جمعية للتعساء وهالته الأعداد الغضيرة التي انضمت إلى الجمعية في بضعة أيام، صنع غريب آلاف الشرائح وأهداها إلى كل أعضاء الجمعية قبل أن يصاب الشعب بالكامل بالاكئاب من جراء الأكواد الأخرى التي قد تصل إلى يد السيد المدير.

وهنا تعلم غريب كيف أن الوسطة قد تكون غلافاً لمشروع كبير لتدمير بهجة الأوطان ليعم الاكئاب وتنتشر فوضى أدوية السعادة الزائفة.

وهكذا أدرك غريب سر اسم فرحة زميلته في الشركة وتعلم كيف تتولد مشاعر الموبايلات!!



ملف قيصر

«وتبقى النفس صامدة أمام صهد الحياة».

أهلاً بيك يا فضل، إيه الغيبة الطويلة دي؟ يا ترى كنت فين؟
أبداً، شعرت بلوعة ومرارة وحالة اكتئاب فقررت أن أستريح في
أجازة من العمل وبعيداً عن الديار. طيب، حمداً لله على السلامة،
ويارب تكون أحسن، فقد افتقدناك كثيراً. وإيه اللي هاتفتقدوه في
يا عزيز؟ أعتقد وجودي زي عدم وجودي، إيه يعني شوية ملفات
قديمة بقرؤها كل يوم وألخصها وأحللها ولا من شاف ولا من دري.
إزاي بس يا فضل، ليه تقول كده، كلنا هنا بقينا أسرة واحدة
والشغل بالنسبة لنا أصبح عادة ولقاء واطمئنان بغض النظر بنحبه
ولا كارهيته. أعقب عزيز قائلاً: وبعدين أنت ناسي إن فيه علاوة
جديدة يا حبيبي أول الشهر اللي جاي، ونسيت إن فيه ترشيحات
للمكتب الثقافى بموريتانيا، وإن احتمال أسمائنا تبقى مرشحة.
يا سيدي مش ناسي كل ده، وفاكر كويس قوي إنه بيحصل كل
مرة وفاكر كمان إن العلاوة بتكون ذكرى بعد شهر وكأنك يا أبو
زيد ما غزيت، وطبعاً أسماؤنا بتروح في الترشيحات صورة والملك
اللي بيفوز حد غيرنا.

يا أخي أنت ضارب أمورك هم كده ليه النهاردة، هو أنا ناقص، ما أنا كمان الغلب راكبي لراسي، وبعدين هو اللي ياخذ أجازة من الملل يرجع راكبه الهم والملل، أمال رحتم ليه. يا صديقي أنا الملل ماكنش سابني ولكن كنت بحاول أهرب منه يمكن يسبيني ولكن ماسبنيش وركب معايا المواصلات واتفسح معايا وشاف معايا اللي ما شوفتوش وبرضه رجع معايا كأنه كان ملازمي علشان يطمئن إنني مش هاسيبه ولا هانساه.

ضحك عزيز ضحكته العالية عندما يكون مزاجه عال ورايق، طيب يا سيدي، أهلاً ببيك وأهلاً بالملل بتاعك، يالاً على الشغل علشان مطلوب منا قراءة وتلخيص وتحليل بعض الملفات التاريخية المهمة ولكنها عتيقة وتعتبر ثروة قومية وتاريخية.

يالاً يا صديقي العزيز عزيز، وأنا جاهز فقد اشتاق الملل إلى وظيفته اليومية التي لم يهتم أحد من المسؤولين علي الإطلاق ولو مرة واحدة بتحليل واحد مما نقيمه ليستفيد منه أو على الأقل لعمل موضوع إعلامي يظهر فيه تاريخنا أو حتى كتابة مؤلف بهذه الملخصات خاصة التي أحللها بعد ترجمتها من الرومانية إلى العربية والإنجليزية.

أعلم يا عزيزي ولكن دعنا نفعّل الروتين اليومي بسعادة، هو حد قال لك ادخل كلية اللغات واتخصص لغات قديمة، أنت اللي عملت في نفسك كده.

خلاص يا سيدي خلاص، ماتفكرنيش، عمومًا يالاً بينا ونتكلم بعدين علشان أحكي لك أنا عملت إيه في أجازتي.

جلس فضل عل مكتبه الصاج الذي استلمه عهدة منذ عشرة أعوام عندما جاءه خطاب استلام العمل في وزارة الثقافة وتذكر كم كان متحمسًا لوظيفته التي انتظرها خمسة أعوام لتمثل له حبل الإنقاذ من صحراء البطالة التي تاه فيها بعد أن تنقل من عمل إلى آخر، أعمال ليس لها أي علاقة بتخصصه في دراسة اللغات القديمة، التخصص الذي اختاره طواعية وبحب وبحماس ليكون متفردًا خاصة أن عدد الطلاب فيه لا يزيد عن أصابع اليدين.

تذكر فضل كيف بهت حماسه بعد فترة عندما وجد نفسه بين ركام ومخلفات الملفات القديمة ومعظمها بالعربية لينحصر عمله في تحليلها وتلخيصها ورفعها إلى المسئول لعمل اللازم، التأشيرة التي حفظها عن ظهر قلب وكرهها من جوه القلب، ابتسم في نفسه عندما تذكر أنه لم تأت إليه الفرصة ليترجم ملفًا واحدًا

من الملفات القديمة المكتوبة باللغة الرومانية مع أنها تقبع هناك في المكتبة الرئيسة ومع أنه تخصصه الدقيق ولا يوجد غيره هنا لهذا العمل، ولكنها رؤية المسؤولين التي لا يستطيع التدخل فيها.

جلس على المكتب والذي لا يوجد به إلا درج واحد كبير ودرج صغير للأقلام وعليه عشرة ملفات قديمة المطلوب العمل عليها بالروتين اليومي كما تعود، وضع فضل رأسه على كومة الملفات لا يريد أن يفعل شيئاً بها، وفكر أن يكتب من بنات أفكاره بغض النظر عن محتوى الملف ليملاً المساحة المطلوبة في التقرير المرفق مع كل ملف حتى ينتهي سريعاً ولا يصاب بالملل ككل يوم ولعله بذلك يكسر سلسلة الملل التي تقيد أركان أفكاره.

مالك يا فضل، أنت نمت على الملفات ولا إيه؟ اشتغل يا حبيبي علشان نخلص الشغل ونمشي، أنا عاجمك النهاردة على الغدا وعلى حسابي.

أفاق فضل ورفع رأسه ناظراً إلى عزيز، يا صديقي أنت هاتعملها جميلة عليّ، دي مرة هاتعزمني أنت قدام كام مرة أنا عزمتك فيها.

يا سيدي هي أي عزومة، أنا عزومتي حاجة تانية إنما أنت عزومتك أورد يحيي.

ضحكا من القلب وبدأ كل منهما العمل كما هو متبع يومياً .

انكب فضل على الملفات يزيح عنها التراب المعلق عليها
ويصنفها للعربية أو الإنجليزية كالمعتاد ثم يرقمها قبل أن يبدأ
في القراءة والتحليل، وهو يقلب في الملفات سريعاً، فوجئ ولأول
مرة بملف مكتوب عليه، ملف نادر من المخطوطات الرومانية،
لم يصدق نفسه، ففي خلال عشر سنوات لم تقع عينه على
ملف باللغة الرومانية، لغة تخصصه، التي مازال يقرؤها في كتب
الجامعة التي احتفظ بها حتى لا ينساها .

نظر إلى الملف بإعجاب شديد وكأنه لا يدري من أين وكيف
يقرؤها؟! وأثار فضوله أن يعرف محتوى هذا الملف النادر ولماذا
تصادف وجوده على مكتبه عند أول يوم للعمل بعد الأجازة . أهى
صدفة أم هو مقصود؟ حتى ولو صدفة، فما أروع الصدف وأجملها
عندما تلبى رغبة كبرى وعتيقة داخل أغوار نفسك المشتاقة إلى
شيء يبهرها ويغزيها ويرويها ويبعد عنها شبح الملل .

ابتسم فضل في نفسه وتذكر دعاء والدته بأن ربنا يوقع له
ملف يحبه، وضحك عندما تذكر دعابة خطيبته التي يعشقها
وهي تقول له: ولا يهملك يا حبيبي أن هلبس لبس روماني وهعمل
نفسى ملف روماني وهلفنى وابعتنى للشغل عندك علشان أكون
الملف القديم اللي نفسك فيه .

آه منك يا محبوبتي التي مازلت على العهد تنتظر الفرج معي
أن يهبط من السماء لكي نتزوج، خمس سنوات طوال مروا على
خطوبتنا وأنا مازلت أحلم وأتمنى وأشتاق، وأنت ما زلتِ على
الوعد وعلى حبك، تقاومي ضغوط أهلِكَ، آه يا محبوبتي لكم
أتمنى أن أقدم لكِ العالم القديم والجديد والمقبل هدية لكِ
وحدك لو أستطيع، آه لو تعرفي مدى حبي وعشقي إليك، عشق
يفوق عشق كليوباترا لقيصر، وروميو لجولييت، عشق يفوق حب
العالم بأسبابه، ولكني أعلم أنكِ تعلمين هنا في قلبي إلى يوم
الدين.

إيه مالك تاني يا فضل، سرحت في إيه؟ مش قلنا نشتغل
علشان الغدا، هي أجازة واحدة تعمل فيك كل ده؟! يا ابني استهدأ
بالله وانس الملل، وركز في شغلك حتى ولو كان روتيناً وأكد ربنا
هيفرجها طالما بتعمل اللي عليك، وأنا عهدي بيك إنك بتعمل
أكثر من اللي عليك وبإخلاص، فتأكد من كرم الله ولو بعد حين،
إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأنت تتقن عملك حتى
ولو لم يقدره رؤساءك فثق في قدرة الله وأنا واثق من ذلك ومن
ظهور إبداعاتك للناس يوماً ما. ألا يكفي أنني أقرأ بشغف ما
تكتبه بل أحفظه لدي في البيت لقراءته من وقت لآخر، فقط
لأستمع بإبداعاتك في الوصف والتحليل المنطقي ببلاغة أدبية

راقية تجذب عقل الغير متخصص قبل المتخصص، سَمَّ بالله
وابدأ الشغل وبكرة هفكر بكرم ربنا .

ابتسم فضل لعزیز وأوماً برأسه بالإيجاب، حاضر يا سيدي
حاضر، أنا بس متفاجئ بملف روماني لقيته بين الملفات، ودي
أول مرة تحصل من يوم ما اتعينت فهل حد جابهولي عن عمد
لأهميته؟!

أبدأ يا سيدي، أنا اللي بدلت ملفاتك بملفاتك لما لقيت الملف
الروماني ده لأنني مش هعرف أترجمه لأنه واضح إنه جه هنا
غلط، فرصة يا عم وجاتلك تشبع رغبتك، يالاً بقى اشتغل، يا
ساتر، كده هسحب مشروع الغدا .

خلاص يا عم خلاص هشتغل أهه .

نظر فضل إلى الملف بعمق وكأنه كنز عشر عليه من بعد
فقر مدقع وأخذ يقلبه ويعد أوراقه على مهل مرة من اليمين
وأخرى من الشمال وكأنه يتعامل مع أسرار حربية عتيقة ويخشى
أن يصيبها بأذى، تذكر فضل أيام الدراسة وكيف كان يستمتع
بدراسة الأدب الروماني والتاريخ الروماني وخاصة الحقبة التي
تواجد فيها الرومان في مصر بقوة واعتلوا وتحكموا في مقاليد
الحكم حتى أصبحت لهم اليد العليا في حكم البلاد، تذكر كيف أن

أستاذ التاريخ الروماني كان يصول ويجول أثناء محاضراته وكأنه القيصر وهو يستعرض تاريخ روما آنذاك لدرجة أن فضل ضحك مرة والأستاذ يسأل الطلاب عن تعليقاتهم علي طريقة عرضه، فرد فضل سريعاً دون أن يدرك، أعتقد يا أستاذ أن القيصر منحك الجنسية الرومانية قبل أن يموت. ضحك الأستاذ بالرغم من غيظه من تهكم فضل وضحك الطلبة وأطلقوا على الأستاذ لقب قيصر منذ ذاك اليوم.

عاد فضل بذاكرته إلى الوراء عندما قرأ في أحد كتب التاريخ أثناء دراسته للماجستير أن هناك معلومات ناقصة في قصة ترك الرومان لمصر وكيف أن هذه المعلومات التي في الغالب عبارة عن وثيقة تفاهم أو إعلان رسمي سري لها أهمية قصوى في تفسير التاريخ وخاصة هذه الحقبة المهمة في تاريخ مصر القديم ونهاية عصر الفراعنة مما قد يغير من كتب التاريخ التي تدرس في المدارس والجامعات.

أخذ يقلب في أوراق الملف ببطء والمكون من عشرة ورقات صفراء مكتوبة بخط اليد الروماني الفصيح سهلت عليه قراءتها. ابتسم وهو يقرأ ما بين سطور الأوراق سريعاً وتذكر محبوبته وكلمات الحب التي يسقيها إياها أثناء عذب اللقاء فقد كانت

كلمات معظم الصفحات حب في حب ولكن بطريقة قيصرية فيها علو المكانة والاعتزاز والشموخ القيصري عندما يحب، وهو يقرب في الأوراق ليستعد لتهيئة مزاجه للترجمة الدقيقة ليشبع رغبته الدفينة، إذ به يجد الصفحتين الأخيرتين عليهما ختم القيصر وليس فيهما كلمة حب واحدة بل كلمات قوية ومحددة تصف حال وشروط ترك القيصر لمصر الفرعونية والمدة الزمنية وفوق كل ذلك حقوق الحكومة الرومانية والمصرية.

اندهش فضل وفرغ فاه من هول المفاجأة ومن مدى أهمية هاتين الصفحتين ليس لإيطاليا ومصر فقط ولكن أيضاً للعالم أجمع، فهذه الوثيقة ليست فقط تفسر التاريخ وتكمل جزءاً مفقوداً فيه ولكن أيضاً وهو الأهم سياسياً ولوجستياً لمصر بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فبها تستطيع مصر أن تحصل على الكثير من الحقوق الضائعة بل وبالإضافة إلى ذلك مشاركة الرومان في بعض الإرث وفي ظهور مصر بالغالب والمنتصر حينئذ وليس المغلوب على أمره، نظر فضل إلى عزيز الذي بدل الملفات ونظر إلى الملف واغرورقت عيناه وتوقف عن الترجمة للحظات قبل أن يفيق مرة أخرى على صوت عزيز، مالك يا شيخنا، أنت محسود النهاردة. إيه الحكاية مش ناوي شغل النهاردة ولا إيه؟ ده أنا قربت أخلص الملفات اللي معايا.

رد فضل صائحاً وبأعلى صوته، بل أنت يا أعز صديق من
أدعوه للغداء على حسابي أنا وفي أرقى مطاعم المدينة، مدينتي
العتيقة، القاهرة. إيه ده؟! معقول، ده أنا عمال أفنخر بعزومتي
علشان أذلِكَ بيها، لا طبعاً مش موافق ومصر على عزومتي، بس
إيه التحول الكبير ده في لحظات؟! إيه اللي حصل غيرك كده
مزاجياً ومادياً؟! لقيت كليوباترا عندك في الملف الروماني بتضحك
لك أو كاتبالك ورث، فرحني معاكي يا حبيبي وقولي إيه كلمة
السر اللي تغيرك كده فجأة في يوم الملل العالمي.

هو فعلاً سر يا صديقي بس مش عليك، سر من أسرار
الدولة، سر حربي، سر عبارة عن معاهدة بين الرومان ومصر.
طيب وإيه يعني يا فضل ما فيه معاهدات كثيرة تمت ومحفوظة،
إيه الجديد في ده؟! لا يا حبيبي الملف ده مختلف وبعدين مش
هقولك دلوقتي ولكن ممكن أثناء الغدا اللي برضه على حسابي.
مش ممكن الغدا كده على حسابي بس لازم أعرف إيه
الموضوع؟! أنت ناسي إني أنا اللي بدلت الملفات يا حبيبي.

عموماً ماتستعجلش يا عزيز، كلها أربع ساعات وأحكي لك
على الغدا بعد ما أكون قرأته بتمعن وحلته وعرفت قيمته.
خلاص، موافق، توكل على الله، ومين عارف يمكن ده الملف اللي

ملفوفة فيه خطيبتك، خد بالك أحسن تكون عملتها فيك. بضحكة عالية كلها مرح وتفاؤل وحب ومزاج عال، فتح فضل الملف وبدأ يترجم فيه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً دون أي تغيير حتى وصل إلى الصفحات الأخيرة، ولأول مرة قام بتصوير الملف قبل أن يرسله للمسئول مخافة عليه ومن إتلافه أو ضياعه، وكذلك أيضاً قام بتصوير ما قام به من ترجمة كاملة وتحليل كامل وتلخيص.

هاي فضل إزيك، ماكلمتنيش على التليفون النهاردة أربع مرات كالعادة، هو أنت بسرعة كده زهقت مني بعد ما كنا مع بعض في الأجازة يومياً؟! أنا زعلانة يا حبيبي ولازم تصالحنى. يا حبيبتي، أنا لم أنساك لحظة بل كنتي معي طوال الوقت وأنا أقلب في ملفات اليوم ولسه مخلص آخر واحد دلوقتي. بقي كده يا فضولي، دي آخرتها، تفتكرني وأنت وسط الملفات القديمة واللي عليها تراب. فعلاً هو ده اللي حصل علشان كلها كانت قصص عشق روماني رائعة، فعشت معكي قصتنا هنا على التاريخ الروماني العتيق. معقول!! هو أنت خلاص جالك ملف روماني أخيراً، مبروك يا قيصر مصر وقيصر قلبي وعقلي. أخيراً يا جميلتي، وليس هذا فقط بل هو من أجمل وأهم الملفات. أنا مشتاقه أعرف، ده أنا خلاص كنت بفكر ألبس روماني وألفلك نفسي وأبعثالك في ملف قديم علشان ماتزعلش، خلاص بقى،

ألبسك لبس كليوباترا النهاردة ونتقابل بالليل على النيل صديقنا .
أوك حبيبتي، هاتعدا مع عزيز وأشوفك بالليل، الظاهر الممل
طلقني اليوم وذهب مع الريح.

احك لي بقى يا سيدي عن الملف وإيه اللي فيه جديد خلاك
تتتط كده في الشغل؟؟ باختصار، الملف فيه أخطر وأهم وثيقة
سياسية وعسكرية تهتم مصر في اتفاقيتها مع الرومان أثناء تركهم
الحماية على مصر، وهذه الوثيقة منقوصة وكان الكل يبحث عنها
ليس في مصر وإيطاليا فقط بل العالم كله لتكمل تاريخ حقبة
كانت أحداثها مفقودة تماماً. وبهذه الوثيقة نستطيع أن نعيد كتابة
التاريخ المصري في هذا الوقت وعليه من الممكن المطالبة ببعض
الحقوق والواجبات بل وبعض الإرث الروماني، هذا على المستوى
العالمي والقومي، أما على المستوى الشخصي فأستطيع التسجيل
لدرجة الدكتوراه في هذه الوثيقة والوثائق المتعلقة بها لإعادة
صياغة تاريخ مصر القديم في عهد الرومان.

رائع يا فضل رائع، أخبار مهمة جداً، ولكن كيف تحقق ذلك
والمسؤولون لا يهتمون بمثل ذلك كما تعلم خاصة أن هذا الملف
وصلني كغيره دون أي تأشيرة تدل على أهميته؟؟ هذه هي المشكلة
يا عزيزي ولكنها فرصة العمر لي وسوف أذافع عنها وأقاتل

لكي يرضى بها ويقتنع المسئولون. أتمالك التوفيق يا فضل،
والظاهر إن ربنا بالفعل استجاب لدعاء والدك مرة واحدة، بس
خليه يستمر شوية كمان لحد ما تستفيد منها. ضحك فضل على
دعابة عزيز وأقبلا يلتهما الغداء سوياً بنهم وشهية كانت نائمة
منذ عشرة أعوام.

رفع فضل التقرير المفصل بأهمية الملف التاريخية والسياسية
والتعليمية وانتظر كثيراً الرد ولكن لا حياة لمن تنادي كما توقع،
لم يشأ أن ينتظر أكثر من ذلك فطلب لقاءً مع المسئول الأول
في المؤسسة والذي لم يلب طلب فضل لمقابلته كما أراد فقرر أن
يقتحم مكتبه عنوة ويبين له الأمر وأهميته وكيف للمؤسسة أن
تحقق سبقاً علمياً كبيراً إذا اهتمت بهذه الوثيقة، ولكن وللأسف
تحول الأمر إلى شجار وعراك بين فضل ورئيسه وانتهى اللقاء
بطرده فضل من المكتب وتحويله للتحقيق لاقتحامه المكتب واختلاق
المشاكل مع رئيسه.

خرج فضل من المكتب غاضباً ولا يدري ماذا يفعل بعد أن
فقد كل الحيل وتحول للتحقيق؟؟ ذهب إلى صديقه عزيز لإخباره
ما حدث فنصحه عزيز أن يتقدم على الفور بشكوى رسمية ضد
رئيسه شارحاً فيها كل المعلومات وأهميتها للدولة، وتحت الضغط

النفسي قام فضل بالفعل بتقديم الشكوى بغض النظر عن أي مخاطر، فهذا هو قد تحول للتحقيق فلن يحدث أكثر مما حدث من طرد.

لم تمر أيام حتى وصل خطاب رسمي إلى فضل للتحقيق والذي انتهى بوقفه عن العمل لحين انتهاء التحقيق واتهامه بإهدار المستندات الحكومية وتخريبها. تعجب فضل من هذا الحكم ولكن تقبله بنفس راضية وتناسى سكوته فكفى ما حدث حتى الآن وليفعل الله ما يشاء، لم يعجب عزيز استسلام فضل لهذا الرئيس وحاول أن يقنع فضل برفع قضية أو تقديم شكوى للوزارة ولكن لم يشأ فضل عمل ذلك واعتبر فترة توقفه عن العمل فرصة سانحة له لكي يرتاح قليلاً ليعمل على هذه النقطة ودراستها من أجل تجهيزها للدكتورة ولكن في إيطاليا.



نزيف الأحلام

«ولدت أحلامه من جديد على بقع الدم المتجمدة
لتقابل الواقع الذي أتى من بعيد في نفس التوقيت وبلا
تأخير».

رن جرس التليفون ولم يشأ محمود أن يرد وهو مستمتع بدفء
الفرش في برد هذا الشتاء القارص وأخيراً أمسك بالسماعة ليرد
وهو في حالة تناؤب ممزوجة بالضجر انعكست على نبرات صوته
وهو يرد على المكالمة.

وما إن سمع محمود الخبر الذي جاءه من الجانب الآخر في
مكالمة لم تزد عن دقيقتين حتى انتفض من فراشه كأن جسده
استجاب لقرار عقله قبل أن يفكر الأخير ويقرر كيف يستجيب
لهذا الخبر، جرى محمود بجسده إلى الحمام وعقله وقلبه
ينشدان الأحلام ليضع كل حواسه تحت الماء الدافئ لدقائق شعر
فيها وكأنه يغتسل من كل الأفكار السلبية أو كأنه يروي أحلامه
بماء الحياة حتى تنتشي وتقبل على الواقع القادم بعد قليل.

اتجه جسد محمود إلى الدولاب يبحث عن بذلته الأنيقة،
واتجه عقله إلى أحلامه التي يتصاعد بخارها من رأسه من شدة
غليان أفكاره، واتجه قلبه إلى حبيبته التي تدور حولها نصف
أحلامه.

لم يستطع محمود انتظار المصعد ودون أن يدري اتجه نحو
السلالم وأخذ يراقص درجاتها برشاقة مبهجة وكأنه راقص
محترف للسامبا ودون أن يشعر وجد نفسه فجأة على درجات
الدور الأول وأنفاسه متلاحقة بعد أن راقص خمسة عشر دوراً
من السلالم.

عندما رأى محمود الشارع شعر وكأنه يرى العالم أول مرة من
بعد حرمان من الانطلاق عانى منه طوال سنين عمره الثلاثين.
استقبلته أشعة الشمس الدافئة بحنان غلفته بأشعتها الذهبية
وكانها تعوضه عن حنان أمه ودعائها الذي انقطع آخر نفس
زفرته ثم شهيقه وهي مستلقية على صدره في حشجة الموت.

واستقبله ضوء النهار الساطع الدافئ الضاحك وكأنه يعوضه
عن دعم والده الذي لم ينقطع عنه إلا بعد أن عاد إلى مصر
منهكاً من العمل عشرة أعوام في بلاد الخليج فنام في فراشه
مريضاً حتى استسلم لنداء الفراق ليترك محمود وحيداً بلا أخ أو
أخت يواجه الحياة بلا سند.

نظر محمود نظرة متأنية إلى بذلته فخوراً بلونها الأسود الذي يزينه القميص الأبيض ورابطة العنق الحمراء وكأنه أراد بهذه الألوان أن يعلن عن نفسه بعلم مصر بعد أن أسعدته مكاملة هذا الصباح الباكر فجعلت مصر زهرة يانعة في عيونه بعد أن كانت حتى مساء أمس وراء ظهره.

فتح محمود ذراعيه ليحتضن نسيمات الهواء الطيبة وأشعة الشمس الدافئة تعبيراً عن احتضانه للعالم بأثره في تلك اللحظات الحاسمة التي تحمله قريباً جداً من تحقيق أحلامه الوردية التي طالما ظن أنها ستبقى أحلاماً إلى الأبد.

بعد لحظات من توقفه أمام العمارة التي يسكن بها مشى محمود صوب هدفه منتشياً وصدرة عالياً وقدميه تحتضن الأرض بثقة عالية وساعديه تفسح الطريق أمامه وكأنه ملك تاجه الكبرياء والفخر بمكاملة اليوم التي وضعته في مكانه الصحيح ورفعته إلى مصاف الرجال المهمين.

ترأى لمحمود من بعد تجمع كبير من الناس وكلما اقترب من الجمع وجد الأعداد تتزايد من الرجال والنساء والأطفال وسمع أصوات هتافات لم يتبين منها إلا نداءات مضادة لفصيل دون الآخر وكأنها لمشجعي مباراة كرة قدم كل متعصب إلى فريقه.

حاول محمود أن يغير مسار وجهته بعيداً عن هذا الجمع خاصة أنه لا يحب المظاهرات ولا يحب الانخراط في السياسة إلا أنه لم يستطع نظراً لأن الحشود قد سدّت جميع المنافذ .

وفجأة سمع هرج ومرج وكر وفر بين الفرق المتصارعة وقذف بالحجارة على الرءوس فحاول الابتعاد عن هذا الصخب والفرع إلا أنه وجد جسده محشوراً بين الأجساد بجميع المقاسات التي أحاطته من كل جانب كأموج بحر هائج تدفعه في كل اتجاه .

لم يهتم محمود في وسط هذه الأحداث الملتهبة سوى ببذلته الأنيقة التي يحتاجها اليوم ليكون بكامل هيئته بعد دقائق أمام الرجل المهم الذي سوف يفتح له أبواب المجد، وحاول محمود عبثاً أن يحافظ على هيئته ولكنه لم يفلح فبدا غاضباً متحفزاً والناس حوله تظن أنه متحمس لفريق ضد الآخر .

وفجأة سمع محمود من يتشبث بأرجله بأيدي واهنة فنظر تحت قدميه ليرى صبياً قد طالته قذيفة من الحجارة من يد عاتية، انحنى محمود ليساعد الصبي على النهوض ويحمله بعيداً .

وما كاد أن يحمله على كتفيه حتى طالته رصاصة حجرية شجت رأسه وأدمت وجهه فنزف كثيراً اللون الأحمر الذي لطخ بذلته بدم ممزوجاً بدم الصبي حتى تجمد الدم كتلاً صماء وكأنها أشلاء أحلامه التي كان يصفها بذلك حتى الأمس القريب .

جرى محمود يميناً وشمالاً والصبي على كتفيه متناسياً دمه
السائل ثم سمع صوتاً مدوياً يهز الفضاء فتلقت حواليه فلم يجد
إلا رءوساً أخرى قد شجت وسواعد تتقاتل وأصوات تتحشرج
وأجساد تتهاوى كجذوع نخل خاوية، ثقل جسد الصبي فتحسسه
محمود على كتفيه فوجده قد سكن فانبطح أرضاً باكياً الطفل
وحظه فوجد صدره ينزف دمًا تسيل معه أحلامه على الثرى،
ورويداً رويداً ظن أن جسده قد سكن وأن دمه قد تجمد وتجمدت
معهُ أحلامه إلى الأبد .

غاب محمود عن الوعي وتلاحقت أحداث الثلاثين عاماً أمام
عينه كفيلم تسجيلي تتصارع أحداثه وتتشابك بسرعة تفوق سرعة
الصوت الذي بدا له قادماً من غور أعماق البحار، صوت تحزمت
فيه كل الأصوات التي أدرك بعد إفاخته من غيبوبته أنها أصوات
من حملوه على أكتافهم إلى أقرب مستشفى هو والصبي الذي
كان يحمله على كتفيه.

فوجئ محمود حوله بالرجل المهم صاحب مكالمة هذا الصباح
والذي أتى مسرعاً هو والوفد المصاحب له ليطمئن عليه بعد أن
اتصل به من حملوه من خلال الكارت الذي وجدوه في جيب بذلته
التي تجمدت عليها الدماء الحمراء.

ابتسم محمود بعينه وقلبه وشفثيه لمن حوله والصبي الذي
يرقد على السرير المقابل مبتسماً وملوحاً بيديه فقد ولدت
أحلامه من جديد على بقع الدم المتجمدة لتقابل الواقع الذي أتى
من بعيد في نفس التوقيت وبلا تأخير.



ومن رائحة الموت تولد الحياة

«محن الحياة شباك تلقى في نهر التحديات فتصيد
الغث والسمين فيذهب الغث بشماتته وأشلائه ويبقى
السمين بصدقه وولائه».

مرة يمشي بخطى واسعة ومرات بخطى بطيئة ورأسه محملة
بأفكار متشابكة تتصارع فيما بينها حتى تمنى أن تنفجر رأسه
لتخرج منها تلك الأفكار النارية.

فجأة وجد نفسه ودون أن يدري أمام مياه النهر وهو ينظر
إليها من جانب الكوبري في ظلمة الليل التي تخترقه الأضواء
الخافتة من أعمدة النور على جانبي الطريق.

تهد بعشق وكتم أنفاسه كأنه يعاقب رثتيه حتى اهتزت
أضلاعه وتمنى أن لو كان بمقدوره أن يلقي بنفسه في تلك المياه
العميقة حتى يتخلص إلى الأبد من تلك الأفكار والهموم التي
تنغص عليه حياته فحولتها إلى قطع من نار تحرقه حتى أصبح
كخرقة بالية ملفوفة بثياب غالية.

وهو في هذه الحالة اللانهائية من التفكير شعر بيد تهز كتفيه بحنان فيه سؤال، نظر إلى تلك الأيدي فوجدها لطفل تملأ وجهه بسمة ضاحكة يرتدي ملابس رثة وعلى كتفيه حقيبة غير واضح ما بداخلها ويمد يده بعلبة منديل يتمنى أن يبيعها.

ماذا أتى بك إلى هنا يا فتى؟ وما اسمك؟ اسمي ربيع وأتيت إلى هنا لكي أبيع ما عندي لأشتري به ما ليس عندي، ومن علمك هذه الكلمات الحكيمة يا ربيع. علمني إياها أبي الذي أقعده المرض فظل يبيع أثاث البيت قطعة قطعة ليشتري الدواء حتى فارق الحياة.

وأنت ماذا تبيع الآن؟ وماذا تريد أن تشتري؟ أنا أبيع تلك المناديل والخردوات لكي أشتري لقيمات يقمن صلبي، ولكن يا ربيع المكان هنا ليس مناسباً للبيع فهو مظلم وهادئ وليس فيه أناس كثيرون ليشتروا ما لديك.

أعلم ذلك ولكن تعلمت أن معظم من يأتي هنا في هذا الوقت من الليل هم من الأغنياء الذين يبحثون عن شيء في المياه لا أعرفه ثم تهتز بعدها المياه بشدة أو يمشون على جانب الكوبري للتأمل.

ابتسم الرجل إلى الطفل وحمل عنه حقيبته وأخذ منه علبة
المناديل وأمسك بيده واستبدل الأدوار وظل يبيع المناديل والطفل
ينظر إليه متعجباً كيف يقوم هذا الرجل الذي يرتدي ملابس
واضح أنها باهظة الثمن وتفوح منه رائحة العطر الفاقع ببيع
مناديل للمارة دون أن يخجل .

لم يبع الرجل إلا القليل من المناديل ولم يجمع من المال ما
يذكر، فابتسم وتعجب كيف لهذا الطفل أن يعيش بهذه الفضلات
المالية، وتعجب أكثر كيف لم يفكر ربيع في إلقاء نفسه في المياه
ليتخلص من همومه كما فكر هو، فما هو السر الذي يجعل هذا
الطفل وغيره في حالة رضاء عن النفس بالرغم من الاحتياجات
الملحة من مأكلاً ومسكن ومشرب .

رجع الرجل ومعه ربيع سعيداً إلى مكتبه في الطابق العشرين
في البناية المعروفة وسط البلد وجلس على كرسي مكتبه الوثير
وطلب من ربيع أن يجلس أمامه ثم نادى سكرتيرته الحسنة
ومدير أعماله وطلب منهما أن يبيعا أكبر مصانعه ليسدد بثمنه
ديون المصانع الأخرى التي أنهكته أفكاراً تتصاعد منها الهموم
النارية .

بدا مدير أعمال الرجل مندهشاً لما يجري فلا بد أن هناك حل آخر غير البيع هذا والذي سوف يخسف بثمن المصنع إلى الأرض، لم يتمالك مدير أعمال الرجل نفسه فانطلق بكل حججه ليثنيه عن فكرة البيع، ابتسم الرجل لمدير أعماله ورد عليه بهدوء قائلاً الناس تبيع لتشتري ما ليس عندها وأنا أبيع لأشتري ما عندي وأشتري معه ما ليس عندي من راحة البال.

لم يفهم ربيع شيئاً مما يدور حوله سوى الرجل أنه يجلس في مكان كله فخامة ترتعد لها فرائسه التي لم تهدأ إلا بعد أن طلب الرجل من سكرتيرته أن تأتي بطعام العشاء الفاخر والعصير الطازج ليتناوله في هدوء مع ربيع.

بدأ الرجل منشرحاً فأخذ ربيع في يده واتجه إلى بيته ليستقرا فيه سوياً ليتملئ البيت بضجيج الأنفاس بعد أن كان مهجوراً من الزوجة التي فارقت الحياة والأبناء الذين هجروا البلاد بلا رجعة.

عاد الرجل إلى مكتبه في الصباح ليعلق لوحة على مكتبه بها حكمة كتبها بنان أفكاره: «ومن رائحة الموت يولد حلو الحياة».



ميلاد من رحم الذنوب

«أعمال الإنسان مثل السيارة دائماً ما تحتاج إلى صيانة من تقلبات الطريق وأخطاء النفس وأخطاء الآخرين والا عطبت أو تنتهي في حادثة طريق».

كان والد سعفان ينصحه دائماً بأن يعود إلى نفسه وإلى الله من وقت لآخر لينقي نفسه ويتوب عن أخطاب قد تصيب أعماله صغيرة كانت أم كبيرة حتى يستطيع أن يداوم الحياة الطيبة وأن يهنأ بالسلام النفسي، إلا أن سعفان كان يلقي كلمات والده كأنها دوائر جوفاء ويذهب إلى لهوه من كل متع الحياة حتى هجر عمله وهجره الناس.

خرج سعفان من الحانة يترنح يميناً وشمالاً وكأنه طفل على أرجوحة في الهواء بلا حبال وصوته العالي هو حباله التي يظن أنها تحمله عالياً كطير محلق في الفضاء.

لم يعرّ المارون بحال سعفان المزري لأنهم تعودوا على رؤية أشلاء الرجال كل نهاية أسبوع هكذا دون أن تؤثر شكواهم المتكررة لرئيس الحي في توقف السكارى عن العريضة في المنطقة هكذا دون رادع.

بعد أن تعرض للوقوع أكثر من مرة استند سعفان على الهواء فوق على وجهه المتورد من أثر السُّكَّر وسالت الدماء من داخله إلى خارجه معلنة غضبها على تصرفات هذا الفتى الذي لم يتجاوز عمره الخمسة والعشرين عاماً التي شرب فيها من خمر ولعب ولهو ومجون ما يكفي لإشباع فريق كرة قدم بأعمار فوق الستين.

استمرت الدماء في السيلان على وجهه حتى وجدت لها طريقاً من أخذود على خده إلى شفثيه المفتوحتين لتتنفس الهواء وكأن فمه يطل من رأس سمكة خرجت لتوها من ماء البحر وتقاتل بضمها لتحميا بأقل هواء.

عندما لعق الدماء بلسانه تيقن أنه قد أصيب إصابة بالغة أفاق بسببها من سكره على تأوهات آلامه المبرحة التي لا يعرف من أين تأتي ولا إن كانت من سقطته على الرصيف أم من سقطته في السكر؟!

دارت الدنيا برأس سعفان وتخيل أنه يحمل الكرة الأرضية على أحد قرنيه بل إنه تخيل أن الكرة الأرضية بقارتها الست قد دخلت وفيها كل أبنية وسكان وحيوانات العالم عنوة إلى أذنيه لتسكن داخل جمجمته وللأبد.

ظل يصرخ ويصرخ محاولاً إخراج الأرض من أذنيه حتى تحول الصراخ إلى بكاء فانهمرت الدموع من عينيه وامتزجت بدمائه السائلة من وجهه دون أن تغير الدموع من لون الدماء، ظل يصرخ والأرض في أذنيه ناظراً إلى أعلى والسماء بين عينيه يبحث عن نفسه هناك فلا يجد إلا أشلاء شاب هجرته حياة الورع وسكنته أشباح هي خيالات حياة تحتضر في تودة وذل واستسلام. خاطب سعفان أعماق نفسه ولكنه لم يسمع سوى أصواتاً خافتة آتية من عظامه وأصواتاً أخرى خافتة ولكنها تبتعد عنه من قلبه إلى الفضاء البعيد.

وكأن هزيان سعفان سكن دموعه ودماءه فقد بدأ يشعر بنفسه ويديه تزحف على الأرض متشبثة بالرصيف الذي وقع عليه قبل أن تسيل الدماء من وجهه والدمع من عينيه ومعهما الهزيان الذي يسكنه من جراء سكره.

لم يستطع سعفان النهوض ولم يستطع أن ينادي على المارة الذين لا يأبهون بحاله ولم يستطع استخدام تليفونه المحمول لطلب الإسعاف أو طلب والده أو حبيبته التي لم يرها منذ شهرين بناءً على طلبها منه كفرصة له أن يتوب عن لهوه وسكره بعد أن وعدا أكثر من مرة فأعطته هذه الفرصة لاختبار قوة إرادته وقوة حبه لها ولنفسه التي بدأت تهرب من عقله وقلبه وجسده.

كلما زاد الهزيان في رأس سعفان وزاد شعوره بحاله كلما زاد
حزنه على نفسه وكلما ضاقت الدنيا في وجهه فما كان منه إلا أن
وضع كفيه على وجهه محاولاً إخفاء نفسه من نفسه ومن وجوه
المارة الذين بدأوا يتوافدون لأعمالهم ولصلاة الفجر في المسجد
الغير بعيد والذي طالما تأذى رواه من هذه المناظر الفجة لأناس
نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

أفاق سعفان على صوت ارتطام شديد تخيل للوهلة الأولى
أنه ارتطام الأفكار برأسه ولكنه سرعان ما تأكد أنه ارتطام خارج
حدود أفكاره وعقله ليس ببعيد منه.

وعقب ذلك بارتطام آخر لصوت انفجار مدوّ خلع قلبه
ومفاصله وحوله إلى قطع من الأفكار المتناثرة التي أنسته حاله
المذري فاستقوى بما بقي من قوة في يديه وعزم في رجليه وجرى
في كل الاتجاهات حتى وجد جسده محشوراً مرة أخرى بين أجساد
السكاري داخل الحانة فقد أخذته قدماه إلى هناك دون أن يشعر
ظناً منها أن هذا المكان هو بيت الأمان.

فوجئ سعفان بأن الحانة في هرج ومرج وأناس يهرولون
داخلون وآخرون يخرجون بل يهربون بملابس ممزقة ووجوه مترية
وآثار دماء على الأجساد حتى ظن أنه يرى نفسه في الناس من

شدة سكرة آلامه، ولكنه فوجئ بهول الحقيقة لما رأى ركماً هناك
مكوماً على الأرض والأجساد تحته والناس يصيحون ويستغيثون
ولا من ملبٍ للنداء إلا من بعض الأيادي المتعبة التي لم يطلها هول
انهيار البنيان المجاور على رعوس ساكنيه وعلى رعوس من كانوا
سكارى بالحانة وقت الانهيار.

العقار المجاور الذي انهار كان رمزاً للبخذ وانكسار القوانين في
هذا الحي الذي يعيث فيه السكارى في الحانة فيكفي أن أصحاب
العقار وملاكه ومن بنوه هم أصحاب هذه الحانة، الملهى الليلي
الذي ضاق به سكان الحي ذرعاً والذين لم تشفع لهم شكاوهم
لمسئولي الحي لا في وجود الملهى الليلي ولا في مخالفة بنيان العقار
الذي كانت نصف أدواره زائدة عن المسموح.

وطالما طال أذى أصحاب الحانة الشاكين من أهل الحي
أمام مرأى ومسمع مسئولي الحي الموالين، الآن وقع البنيان على
رعوس من بنوه وعلى سقف الحانة التي تتهاوى الآن هي الأخرى
في السقوط وتصدعت جدرانها كما تصدعت جدران سعفان في
سقطته على الأرض من جراء سكرته حتى من قبل أن يسقط
البنيان.

تمنى سعفان أن يسعف المصابين ولكنه هو نفسه يحتاج إلى من يسعفه، تذكر كيف أن والده أعطاه هذا الاسم ليكون رمزاً للخير والعطاء للآخرين يسعفهم ويخفف عنهم آلامهم وجروحهم. بكى سعفان لما رأى نفسه عاجزة عن حتى مساعدة نفسه.

ولكنه استجمع قواه وتأبط عزيمته الكامنة في أعماقه ولملم أشلاء أنفاسه وبدأ يسعف قدر ما يستطيع ويطبق ما قد علمه والده من فنون الإسعاف التي لم يزاولها من وقت تعلمها، وجد سعفان يديه بين أيادٍ أخرى كثيرة جاءت تجري من المسجد الذي ليس ببعيد ومن أهل الحي النائمين ليسعفوا من تحت الأنقاض بما فيهم من بنوا البنيان وأداروا هذه الحانة لسنوات وبالطبع تناسوا ما كان من مشاحنات وشكاوى واتهامات وأذى طال الكثير من أهل الحي.

وقف سعفان وسط الناس لا يدري أيكي أم يضحك مما يرى من أحداث؟! فمن تجبروا هم الآن تحت الركام ينتظرون الإسعاف من أيادٍ كانوا يتمنون أن يقطعوها إلى الأبد، أدرك سعفان أن لذة الحياة ليست في السكر واللهو بل تكون في الناس وللناس الطيبين وأن يستعيذ بالله من أصحاب الشياطين.

ابتسم سعفان وقال في نفسه: جميل جداً أن تحل بك الشدائد وتهجرك الأشياء والأنفس، فحينئذ سوف تدرك أن الله هو الوحيد الضامن والرفيق في المحن والشدائد، إنه بالفعل شعور لا يعوض، هو أعلى من كل الأشياء وأعز من كل الأنفس، أن تكون في معية الله، وهذا يكفي.

وانكب على إسعاف الأجساد المكسورة تحت الأنقاض وفي جسده قوة وفي عقله نشوة وفي قلبه فرحة بأنه الآن سعفان الحقيقي الذي للمم أشلاءه من تحت أنقاض السكر واللهو والمجون ليولد من جديد بروح جديدة فيها عزة ونبل الحياة مع والده ومع حبيبته التي طال انتظارها.

وهكذا يولد الناس مرتين ولكن ميلاد النفس من رحم ذنوب الحياة هو الميلاد الحقيقي وهكذا ولد سعفان من جديد.



oboeikan.com

طبيب يوم الخميس

«المشاعر الإنسانية كالدقيق، إن هبت عليها رياح
البغض تذروها، وإن صبت عليها مياه الإخلاص تصير خبزاً
للقلوب الطيبة».

اليوم هو يومي المفضل ففيه أستمتع بعيادتي في وجود عدد
قليل من المرضى من الأصدقاء حسب برنامجي الأسبوعي، اليوم
أستطيع أن أفضض معهم عن هموم عيادتي وقلبي وعقلي وأنا
أستمع إلى شكاوهم، إنه يوم فسحة العمل الذي أنتظره كل أسبوع
فمرضاي يدركون ذلك جيداً وكأنهم يأتون ليمرضوني ويستمتعون
بشكواي وكأنه انتقام من تطبيبي لهم أو من يدري لعله رد الجميل،
ابتسم د/ سعيد وهو الاسم الذي يعشقه ويزهو دائماً أن والده
منحه إياه حتى يضمن له السعادة، وبالفعل فهذا الاسم يحفزه
دائماً على أن يكون عند حسن ظن الشعور بالسعادة.

بقميصه بلونه الأزرق المفضل وبنطلونه الكاكي وحذائه
الكاجوال أدار د/ سعيد سيارته بتمهل وببطء مقصود وكأنه
يفرد عضلات إرادة السعادة على كل شيء يتعامل معه، فكل
سلوكه اليوم يتحول إلى النقيض، من ألوان ملابسه المنسقة إلى

المتمردة، كل لون عالم بمفرده، ومن السرعة في أداء كل المهام إلى البطء المتعمد اللذيذ.. قاد عربته ببطء وسط شوارع العاصمة المزدحمة غير عابئٍ بكلاكسات السيارات وراءه، ولكنه يبتسم غير مبال، ما أحلى يومك يا سعيد، ما ألد أن أكون غير كل يوم، ما أروع أن أحاول أن أكون سعيداً، حقاً التمرد على الروتين نوع حلو من السعادة لمن يقدر عليه، وها أنا ذا أستطيع.

ركن السيارة على جانب الطريق وليس في الجراج المخصص لسيارته كالعادة وهو يتختر كأنه ملك الدنيا كلها بين يديه ويوزعها على من يريد نفحة من ابتسامة أو نظرة أو كلمة فهو سيد اليوم يفعل ما يشاء، يشعر د/ سعيد بنشوة غامرة بكل خطوة وبكل حركة وبكل لمسة وكأنه يداعب الأشياء ويغازلها بعيون ناعسة، يمد يده وبها نقود الصدقة التي يعدها مساء كل خميس لأناس يعرفهم وينتظرونه كل صباح خميس ليسعدوا بكرمه اللامحدود بهذه الأموال فهو والحمد لله حساباته البنكية فاقت ما كان يحلم به دوماً ويتمناه. ولحبه الشديد لهذا العمل الأسبوعي تعود د/ سعيد بتعطير هذه المبالغ المالية بنفسه ليدخل السعادة على هؤلاء الناس ليسعدوا بالنقود والعطر الذي تعودوا على شذا عطره ولو مرة كل أسبوع، وما أذكى هذه الرائحة العطرة التي لا يعرفون لها اسماً فيكفي أنها من زجاجة عطر د/ سعيد.

صعد درجات السلم درجة درجة ببطء وكأنه يعدها عدا غير عابئ بالأدوار السبعة وباب المصعد الذي يقف أمامه البواب بابتسامته العريضة محيياً د/ سعيد ومفسحاً له طريق السلم وكأنه يفتح باب المصعد كنوع من الدعابة التي تعود عليها بمرح كل خميس الذي يتعمد فيه ألا يستخدم المصعد .

والكثير من المترددين على العمارة يعرفون د/ سعيد جيداً لتعودهم على رؤيته كل أسبوع على السلم حتى صاروا شبه أصدقاء مما يجعله سعيداً بسلامات هؤلاء الناس بالأيدي والعيون والإيماءة عن بعد فلا يشعر بدرجات السلم إلا وهو أمام باب عيادته ليجد مساعده يفتح له الباب بالابتسامة الخاصة بكل يوم خميس .

بهدوء واسترخاء مغلف بنظرات متأنية وكأنه يستمتع بلوحة كلاسيكية ألقى د/ سعيد نظرة على الصالة التي مازالت فارغة فهو يأتي مبكراً قبل المرضى من الأصدقاء، يجلس هناك على كرسيه المفضل بركن الصالة ليتلذذ لبضع دقائق بشعور المنتظر مثله مثل مرضاه يتصفح فيها الجرائد والمجلات المرصوفة على المنضدة وهو يتحدث مع مساعده وكأنه قد تحرر اليوم من سماعته وأدوات الطب التي تحاصره طوال أسبوع العمل

سواء بالعيادة أو بمستشفى الجامعة التي يعمل بها أو العيادات بالمستشفيات الخاصة التي يحول إليها مرضاه كلما تتطلب الأمر.

ما أجمل شعور التحرر والانطلاق من قيد الوظيفة وروتين العمل اليومي ومن العلاقات الرسمية مع الناس وأبواق السياسة المصطنعة، إنه شعور رائع يجعل صاحبه وكأنه طير أُطلق من عشه أو أسير فُك من قيد أسره، آه لو كان لي هذا التحرر نصف أيام الأسبوع لكنت من المحظوظين ولكن كفى بيوم لا يمتلكه الكثيرون ويتبعه جمعة هي الأخرى التحرير نفسه من كل القيود بلا حدود.

نهض د/ سعيد من على كرسيه قاصداً مكتبه ليبدأ طقوس يوم الخميس من استماع إلى الموسيقى الهادئة بكل أنواعها والأغاني الكلاسيكية التي يعشقها وهو يدندن وممدداً قدميه على مكتبه في استرخاء وكأن كل خلية في جسده تغني لحن الهدوء.

دخل عليه مساعده وجلسا سوياً يناقشا أمور الحياة بتفاؤل دون التعرض إلى أي منغصات فالיום يوم السعادة والهدوء والأخبار السعيدة ولا مكان للهموم، علت الضحكات بينهما تملأ ألقانها المكان بالبهجة والمرح وقهقهة الضحكات على النكات.

جلجلة الأصوات قادمة من الخارج في صالة العيادة، استأذن المساعد ليخرج إلى الأصدقاء ليرتب معهم لقاء د/ سعيد كعادة

كل خميس، لوح د/ سعيد إلى مساعده بمرح على لقاء بعد دقائق مع أول صديق أياً كان فالיום يوم الأصدقاء بطب وطبيب غير كل الأطباء.

تزايد صوت الجلجلة بالخارج وظن د/ سعيد أنه قد يكون المرح العالي لبعض الأصدقاء ممن تقابلوا في الخارج سوياً، فمعظم أصدقائه من أيام الدراسة. انتظر على مكتبه حتى تهدأ الجلبة ويدخل أياً كان من الأصدقاء لبدء برنامج اليوم المفتوح بدون ترتيب مسبق، انتظر وانتظر ولكن لم يدخل أحد عليه بل دخل مساعده مسرعاً بوجه شاحب وعينين زائغتين وصوت متحشرج لا يدري ما يستطيع أن يقول.

ما بك؟ لماذا تبدو هكذا؟ هل ألم بك مكروه؟ ماذا حدث بالخارج لتبدو بهذا المظهر المذري في يوم الخميس؟!

لا أدري ماذا حدث د/ سعيد ولكن الأمر جد خطير ولم يخطر لي على بال من قبل.

ألهذا الحد الوضع مهم؟ أم هذا مقلب من مقابل الأصدقاء أوزعوك أن تتقنه معي لكسر مزاجي العالي ثم يأتون ليضحكوا علي؟ لا يا عزيزي لعبتك انكشفت، عد إليهم وأت لي بأحدهم.

يا دكتور سعيد أصدقاؤك ليسوا بالخارج فقد ولوا الأدبار
عندما شاهدوا من الخارج إلا واحداً منهم وأنا وأنت فقط هنا
نواجه هذا الموقف الصعب.

أجاد أنت فيما تقول؟!؟

نعم سيدي.

إذا دعني أخرج لأرى ما رأيته أنت.

لا تخرج إليهم يا د/ سعيد فالوضع خطير وقد يفتكون بك.

عمن تتحدث؟ أنا لا أفهمك، مؤكداً أنك تمزح.

طلب د/ سعيد أصدقاءه المتوقع أن يأتوا اليوم لزيارته
والاستمتاع بالبرنامج فأكدوا له ما قاله مساعده وبرروا تركهم
المكان بسبب خطورة الموقف واحتمالية التراشق والإصابات.

لم يصدق د/ سعيد أصدقاءه فقد يكون موقفاً متحداً منهم
لعمل فصل فيه اليوم ثم يأتون لاحقاً ولذلك قرر أن يتصل بأحد
الأصدقاء الذي لا يشترك في مثل هذه المقالب لجديته وصرامته
الشديدة، اتصل به وتأكد له أن ما قاله المساعد والأصدقاء
حقيقة وعليه أن يتدبر الموقف قبل أن تتصاعد الأمور وتستفحل،
وفوجئ أن هذا الصديق هو الوحيد الذي لم يرحل بل ينتظر
بالخارج حتى تنتهي هذه الأزمة.

انزعج د/ سعيد جداً مما يحدث فمؤكّد أنّ شيئاً جليلاً ما حدث، ما هو لا يدري وبدأ يشك أنّ هذا الأمر مدبر للكيد به ونجاحاته التي ملأت الأخبار منذ سنين حتى أصبح يشار إليه بالبنان في كل مكان والإعلام والفضائيات، وبدأ يعود إلى الوراء لتاريخه العلمي والاجتماعي والوظيفي، وعن الثغرات التي قد تكون هناك والتي قد يستخدمها الحاقدين ضده والتشهير به، ولكن لماذا الآن؟!

وبعد تفكير طويل قرر د/ سعيد أن يخرج لمن في صالة عيادته ويواجه الأمر أياً كان فهو على الأقل في عقر داره ومن الممكن أن يتصل بأحد أصدقائه الكبار بالشرطة لفض أية مظاهرات أو اتهامات.

وما إن ظهر في الصالة حتى وجد العشرات من المرضى في حالة تظاهر سلمي ومنهم من علق على صدره وشاحاً أسود علامة على الحداد ومنهم من رسم على صدره صورة للكبد وعليها علامة إكس وآخر صورة للقلب وآخر للكلية وآخر للأعضاء وكأن الصالة تحولت إلى زحام من الأعضاء البشرية في حالة تظاهر وتحفز، وعندما طلّ من باب العيادة وجد طابوراً طويلاً على السلالم حتى الشارع وبنفس طريقة التظاهر بلا أصوات

ولكن أزيز همهمات تعلق وتهبط بها الصدور وعليها رسومات الأعضاء البشرية.

لم يفهم د/ سعيد ما يجري ولم يدر ماذا يفعل فهو يتذكر كل هؤلاء الناس جيداً فهم مرضاه ومنهم من شفي تماماً على يده ومنهم من أنزل له شكراً في الجرائد والمجلات امتناناً له بعد شفائه، إذًا لماذا الآن؟! ولماذا لا يتكلمون؟! لماذا الهمهمات؟! ولا رد لأي من أسئلته ولماذا هذه الأعضاء خاصة؟! لأنها هي تخصصه المكتوب على العيادة من الخارج أم أنها إعلان عن تفكك الأعضاء؟! وقبل أن يصرخ فيهم د/ سعيد ليتكلموا ليفهم ويرد، فوجئ بوجه يعرفه تماماً، وجه وراؤه وجوهاً أخرى تعود أن يراها من حين لآخر، إنه هو الصاحب في العمل والحزب السياسي الذي ينتميان إليه، الحزب الذي يساند نشاطه الطبي والسياسي في كل القنوات حتى أصبح نجماً إعلامياً، ما إن رأى الابتسامة الصفراء تملأ هذا الوجه يتمكن حتى استوعب الدرس وعرف أن ساعة الصفر التي كان يخشى منها دائماً قد حانت من ضربة من معول من أقرب الناس إليه، معول كان يهدد به دائماً لاستخدامه وقت اللزوم بحرفية مطلقة ومباغثة إذا زاد نجم د/ سعيد عن الحدود المرسومة له في سماء المجد ولو بالصدفة، فكل نجم له حدود في السماء.

هنا أدرك د/ سعيد لماذا لا يتحدث المرضى؟ ولماذا هم كالروبوت؟ ولماذا هذا الوجه الآن؟ ولماذا هذه الوجوه التي طالما كان يحاول البعد عنها؟ وهنا فقط أدرك د/ سعيد أن نجمه قد انطفأ في سماء المجد المقررة له سلفاً، وهنا فقط ابتسم د/ سعيد وشعر أنه حر غير مقيد بسماء. وهنا فقط قرر أن يبحث عن سمائه هو بحدود يرسمها هو بمجده الحقيقي.

وهنا فقط قرر د/ سعيد أن تكون جميع أيام حياته ليلة خميس ويوم خميس.



obseikan.com

أفكار جنائزية

«يقولون العمر لحظة، ولكني أقول أنه ملايين اللحظات التي قد تختصر في لحظة مملوءة بعنفوان الذكريات».

ضاقت الدنيا عن آخرها في عيني سعد، فلم يعد يرى سوى الظلم الذي سكن كل خلية فيه حتي أُطلق عليه لقب كبير المظلومين، ومع أن هذا اللقب أراحه نفسياً نوعاً ما لإحساسه أن أهل قريته يشعرون بأوجاعه والظلم الواقع عليه من هذا الرجل الخارق الذي يتحكم في كل شيء، إلا أنه دائماً ما يشعر بغصة في حلقومه من جراء هذا الظلم البين الذي لا يستطيع رده أو حتى مناقشته. ولأن اليوم الخميس والذي تعود فيه كل أسبوع زيارة والديه ليشكو لهما الهموم ويلقي بأحزانه خارج قلبه أمامهما لعلها تهدأ وتستكين، قرر سعد أن يخرج ويترك العودة بلا وقت محدد فهو اليوم في زيارة مفتوحة لأهله كيفما طالت.

أناس هنا وهناك، رجال وأطفال ونساء وشيوخ بكل الألوان واللغات والثقافات، تجمعوا حوله متعلقين بشبابه الرثة حتى

تمزقت من كل جانب، يصرخ الجميع بأعلى صوته، كل بلغته حتى أصبح كخرقة بالية لا يدري ماذا يفعل!؟ فلا هو بقادر أن يهرب ولا هو بقادر أن يدافع عن نفسه، ولا هو بقادر أن يفهم لغاتهم التي أصبحت لغة جديدة لم تولد بعد نتيجة اختلاط الكلمات والأصوات كالرعد يصم الآذان. استسلم سعد إلى حاله الرث، ممزقاً الثياب والنفس، فألقى بجسده بينهم مترنجاً وهم يدوسونه بأقدامهم وكأنهم يُسوون أرضاً ملأتها حجارة من طين الأحزان.

أغمض سعد عينيه حتى لا يرى هذا القبح والاستهانة بإنسانيته ورجولته وتمنى أن تتسلخ روحه من جسده وتبعد بعيداً وتترك لهم جسده يفعلون به ما يشاءون. وما كادت عيناه تغمضان لعله لا يرى هذا الضجيج حتى صاح يحك إحدى عينيه نتيجة لسعها من زنبور أحد دبابير النحل التي تحوم حوله في هذا المكان القاصي. فتح سعد عينيه ليجد العالم حواليه خاوياً إلا من شمس تغلق شبابيك أشعتها عن الكون وليل احتل عرشه في الأفق فارساً أجنحة ظلّمته في كل مكان ووجد جسده مستلقياً على الحشيش الأخضر وقد غشيه النعاس بعد أن أنهى زيارة قبر والديه هذا العصر.

وفجأة استيقظ سعد من حلمه ، وتعجب كيف يسترخي الجسد ويفور العقل هكذا ، وكيف ومن أين يأتي كل هؤلاء الناس بألوانهم ولغاتهم وأعمارهم من كل أنحاء العالم ليسكنوا خلايا عقله بهذا التزامم كل مساء أثناء حلمه الشيء الذي لا يمكن أبدا أن يحدث علي أرض الواقع. أهم جن إخرق جسده أثناء نعاسه ولبسوا نفسه ، أم هم أرواح الموتى علي مر العصور تسربوا إليه من القبور حواليه ليحذروه من البقاء في هذه الدنيا ، أم أنهم مجرد أبخرة لأفكار العقل تصاعدت منه فتكثفت علي هيئة صور ثلاثية الأبعاد، أم هو ضميره الممزق بفعل تعذيبه وجلده لذاته جراء أخطائه التي هي مجرد مسلمات وهفوات للآخرين. لا أحد يعلم ، والوحيد الذي قد يعلم هو العقل ولكنه لا يبوح بأسراره. و لا حتي لصاحبه. فعلا سر الحياة والممات يسكن خلايا العقل التي تشكل لنا أثناء النوم ما تريد هي وليس ما نريد نحن دون أن تستأذنا.

لا أحد يعلم، والوحيد الذي قد يعلم هو العقل ولكنه لا يبوح بأسراره، ولا حتي لصاحبه، فعلاً سر الحياة والممات يسكن خلايا العقل التي تشكل لنا أثناء النوم ما تريد هي وليس ما نريد نحن دون أن تستأذنا، فمنذ لحظات كان عقل سعد مدينة يعلوها الضجيج والآن أرض فضاء حافية إلا من ذكرى والديه حيث جاء

ليجدد عهده معهما، من أين جاء هؤلاء الناس وأين ذهبوا؟! لا أحد يعلم حتي سعد، فلا عيناه رأتهم من قبل ولا قلبه شعر بهم من قبل.. إنه العقل عندما يأخذ أجازة من الحياة على عجل للمم سعد حاجياته بعد أن وجد نفسه وحيداً في هذا الليل البهيم الموحش، وما إن وقعت قدماه على بداية الطريق المؤدي إلى البلدة حتى سمع صراخاً ووعيولاً من اتجاه البلدة وأكتاف تحمل صندوقاً خشبياً لا يعلم من يرقد فيه، تعالى النحيب والوعويل وهممة الرجال التي اقتربت منه فما كان منه إلا أن استدار بجسده وانضم لطابور العرض الذي يمشي وراء الصندوق دون أن يسأل من الرائد فيه، وصل الطابور إلى القبر وانتظر المشيعون بعيداً حتى تنتهي مراسم الدفن وحملت بعض الأيادي المدربة الجثمان ووضعتة في حفرة معدة مسبقاً لهذا الجسد الضخم الملفوف في قماشه الأبيض.

وكانه تعرف على الجسد سأل سعد أحد القائمين على الدفن، رحمة الله على الميت الذي كان كله وصل وحب للناس، الله يرحمه، نظر الرجل إلى سعد وهو مازال يدس الطين على فتحة المقبرة متمماً، ويرحمك الله، ألا تعرف صاحب الجسد يا سعد، لا أعرف لأنني كنت هنا في زيارة الموتى بعيداً عن صخب ظلم الحياة، ولكنني أكاد أجزم أنني تعرفت على جسده، هو يا سعد، فقد كتب

اللّهُ لك اليوم حياة جديدة خالية من ظلمة أو ظلام. حينئذ أدرك
سعد من أين جاء الناس في عقله ولمن كان صراخهم و عنفوانهم
وطغيانهم في عقله.

دعا سعد بالرحمة والغفران لروح الجسد الذي أهال الرجل
عليه التراب وقفل فتحته بالطين، ذهب لينضم للمشيعين فلم يجد
أحداً ينتظر، حينئذ قرر سعد ألا يرحل وبقي يدعو للميت حتى
آخر قدم تركت الليل البهيم.



obseikan.com

التنازل عن التمني

«إذا أردت دخول السباق فيجب أن تمرن قدميك على العدو أولاً».

لكم تمنيت أن أكون أنت يا سمير، درسنا سوياً من الابتدائية حتى الثانوية ثم افترقنا في الجامعة بعد أن دخلت أنت كلية الاقتصاد والعلوم السياسية والتحاقك بالسلك الدبلوماسي بعد ذلك لتصبح سفيراً لمصر في تلك الدولة التي لا يخطر ببال أحد أن يعمل في السلك الدبلوماسي بها، ولكنك كالعادة كنت محظوظاً ترقيت حتى أصبحت وزيراً مفوضاً ثم سفيراً يشار إليه بالبنان، والتحقت أنا بكلية العلوم وتعينت معيداً ثم تدرجت في الترقيات حتى أصبحت أستاذاً يشار أيضاً له بالبنان، ولكن شتان الفارق بين هذا وذاك البنان، فبنان السياسة أعلى قدراً وتأثيراً وقوة من بنان العلم والأستاذية المعنوية التي لم يعد يقدرها أحد فباتت تشعر بالخجل من ملامحها التي كانت يوماً ما تحمل أجمل الملامح على الإطلاق.

ما علينا يا سمير فالماضي قد مضى وما بين أيدينا هو الحاضر وما عليّ إلا أن أعانق الواقع وأمثل إلى أوامره الفضفاضة. فإذا كنت قد درست كثيراً وبحثت أكثر وتعلمت أصول البحث العلمي وتطبيقه حتى أصبح لا يُذكر اسمي إلا وتُذكر إنجازاتي العلمية، إلا إنني لم أتعلم أصول كسب المال والجاه والسلطان في الحياة، فكم كانت هناك العديد من الفرص لجمع المال وفرص أخرى لتسلق مجد الجاه والسلطان، إلا أنني وبجبروتي العلمي تقمصت دور الباحث الناسك الذي يجري وراء أوهام لا تعترف بأدواته ولا كلماته فأصبحت كما أنا وما أصعب من وصف الأنا.

لكم اشتقت إليك يا سمير، وبالافتخار بك وبالاعتماد عليك في إنهاء العديد من الأمور المستعصية عندما تحل علينا بوجهتك وعظمتك وحنفوان منصبك في أجازة كل عام، وها أنا ذا أنتظر قدومك على أحر من الجمر لكي تساعدني بحق الصداقة في تذليل الكثير من حقوقي المعلقة والتي تحتاج إلى عصاك السحرية التي تفتح كل الأبواب المخبأ وراءها كل الخير، وأنتظر قدومك لكي تشرفنا بالحضور زفاف ابني وأفتخر بك أمام أهل عروسه وأصدقائي وأهلي وملتقط الصور التذكارية لتخلد تلك اللحظات.

لكم كنت أتمنى أن أكون مثلك يا صديقي الوجيه، ليتني دخلت سلك السياسة والاقتصاد معك لأصبح في موقع الصدارة وعلى صفحات الجرائد وشاشات التلفزيون مثلك، أقول ليتني مع أنني التحقت بسلك العلوم بملء إرادتي فكان بمقدوري أن أكون سفيراً أو طبيباً كبيراً أو قاضياً معروفاً ولكني أحببت وعشقت العلم والعلوم والعلماء، وفزت أيضاً بحب العلم والعلماء، وهذا ما كنت أصبو إليه دائماً ليقيني أن العالم هو من تتحني لعلمه الجبّاه ولكن رحلة الحياة علمتني أن أهل العلم قد تتحني أمام الجبّاه، وتعلمت أن العلم في بلدنا حاي في القدمين وأهله عراة. أقول أتمنى أن أكون مثلك ولكني كم أعشق أن أكون أنا، فالتمني قد تخلقه ظروف الحياة ولا يعكس واقع من يتمنى مناه.

لم يتبق سوى النصف ساعة على وصولك صديقي العزيز سمير بك، نصف ساعة وتكون أمامي بوجهتك وابتسامتك العريضة، وتزاحم أهل الإعلام حوالياً وأنا أنتظر بعيداً حتى تنهي مراسم وصولك أرض المطار اليوم لتبدأ أجازتك السنوية، لن آخذ من وقتك الثمين كثيراً يا صديقي فسوف ألقى التحية مثل كل مرة ثم أضمك إلى صدري وأقبلك بمشاعري الصادقة ثم أعزمك لزيارتي في البيت ككل مرة لنعيد الحكايات والذكريات، دقائق يا سمير بك وأراك ماثلاً أمام عيني في مطار القاهرة الدولي لأفوز بنشوة لقاءك مثل كل عام.

انتظر د/ عفيفي وانتظر مجيء سمير بك ولكن لم يظهر في صالة كبار الزوار ولا مع الركاب العاديين القادمين على نفس الطائرة. تعجب د/ عفيفي وراح يسأل عن رحلة سمير بك، وكانت المفاجأة هو وصول جثمان سمير على الطائرة وبأنه سوف ينقل إلى أهله لتتم مراسم الدفن هناك في قريته وتحت إشراف د/ عفيفي بناءً على وصيته.

سال الدمع على خديّ د/ عفيفي ليس بسبب انهيار سقف عقارات أمانيه ومطالبه التي كان يتشوق أن تتحقق بفضل سمير بك ولكن بسبب تحول مراسم استقبال سمير بك إلى مراسم دفنه.

هنا أدرك د/ عفيفي وهو يبكي صديق العمر غياب أهل الإعلام في المطار وقد كانوا كل مرة على أهبة الاستعداد في استقباله، وهكذا الفرق بين مراسم ومراسم. وبكى د/ عفيفي أكثر لما علم سبب وفاة سمير بك من المرض اللعين السرطان بعد أن أنهك قواه، وبكى د/ عفيفي لأن صديقه الذي هدّه المرض لم يسعه عمره أن يستفيد من الدواء الجديد الذي اكتشفه د/ عفيفي حديثاً لعلاج السرطان والذي كان ينوي مفاجأته حتى يعلنها سمير بك على الملأ ويدعمها عند أصحاب القرار.

بكى د / عفيضي صديقه الذي راح وبكى دواءه الذي راح..
وشهق شهقة ملأت جوفه ترحماً على صديقه واتجه بهدوء إلى
جثمان سمير حتى يأتي أقاربه وهو يحدث نفسه: «هكذا تولد
وتموت الأمنيات بيد القدر» والحمد لله على أني لم أكن غيري
وأنى كنت ومازلت د / عفيضي.



obseikan.com

حلم الرحيل

«يا كل ساكني مدائن الأوطان، تهيأوا وتزينوا فإني
عن وطني قررت عدم الرحيل، وأمي هي الوطن».

استيقظ ربيع من النوم على راحة يد أمه تداعب خصلات
شعر رأسه التي تبعثرت في كل اتجاه أثناء حلمه الذي عاش فيه
ليلة طويلة، اعتادت أمه أن توقظه كل صباح على كلمات حانية
حروفها من لغة الحنان ونقاطها مغموسة في عسل أبيض مصفى،
كيف لا وهو الابن الأكبر والوحيد المختلف عن أخواته الخمس
بأدبه الجم وبنظامه واحترامه لها فكان شغلها الشاغل طوال
عشر سنوات بعد وفاة والده، ولكنها أتت اليوم إلى حجرته مبكراً
لتوقظه بعد أن سمعت صياحه ولكنها وجدته صياح حلم كما
تعودت منه منذ أسابيع.

صباح الخير يا حبيبي، واضح أنك كنت في حلم جميل
وطويل، يا ترى هتحكيه لي دلوقتي قبل ما تنسى ولا لما تفوق،
لأهاحكيهولك قبل ما أنساه لأنني حاسس إنها رؤية مش حلم
وعايزك تفسريه لي كالعادة بأسلوبك الجميل.طيب مش الأول

تشوف الهدية اللي كان نفسك فيها من سنين، جاكيت بدلة
محصلش هدية حصولك على أول عمل وأول مرتب ننتظره جميعاً
على أحر من الجمر.

يا أمي أنا كل اللي عايزه رضاكي عني وتدعيلي حتى وأنا بعيد
عنك. أنا بدعيلك على طول يا ابني بس إيه حكاية وأنت بعيد عني دي؟
هو ده الحلم يا أمي، هتجيلي هدية حلوة بس من برة وهاروح
أستلمها هناك.

طيب ما يمكن الهدية دي هي الجاكيت وهو يا سيدي جايلك
هدية من برة توصية مني، الجاكيت عجبني جداً يا أمي وفعلاً
كان نفسي فيه بس حاسس إن الهدية حاجة تانية، حاجة مختلفة،
حاجة هتجدد حياتي.

أطلقت الأم نظرها إلا اللا شيء وهي تساعد في ارتداء
الجاكيت الجديد لتسعد به وهو يرتديه فكم كان يتمناه وكم عملت
المستحيل لتشتريه من دول الخليج بتوصية أحد الأقرباء لترى
مفاجأة السعادة في عينيه، همست في نفسها في توجس، مؤكداً
هناك سر في حياة ربيع وهو الذي ظننت أنه لا يخبئ عني أية
أسرار.

ولم تمضِ أيام حتى جاء ربيع المظروف الكبير الذي كان
ينتظره منذ عام ونصف من محبوبته عبر البحار وبه الموافقة
على السفر وتأشيرة الهجرة وتذكرة السفر إلى الخارج كما أخبره
الحلم الذي كان يعيشه سراً في الواقع.

سافر ربيع منذ عشرة أعوام ومعه الجاكيت، ولم تره أمه
حتى الآن، ومن يومها قررت أم ربيع ألا تحقق أحلام أولادها
الأربع الباقيين حتى لا تفقدهم وهم على قيد الحياة.



obseikan.com

حمى المشاعر

«نبتة المشاعر تحتاج أن تروى بماء العطاء حتى تثمر القلوب عن كلمات حلوة المذاق حين تقطف ثمارها الألسنت».

ارتفعت درجة حرارته حتى شعر وكأنه يتقلب في فرن حراري وخفت صوته ولم يعد يقدر على البوح بوجعه وهزل جسده وكأنه لم يذوق طعاماً منذ أيام، استسلم فارس لوهنه وألقى بأوجاعه في جوفه فلم يعد يستطيع أن يفتح عينيه من شدة الألم الذي ألم به بفعل الحمى التي تمكنت من أركان جسده النحيل ذي العشرة أعوام. استسلم لنوبات الألم ونوبات الإغماء وحواليه أناس يرق لهم قلبه ولكنه بدأ يبتعد عنهم رويداً رويداً حتى غاب تماماً عن تلك الأجواء ليجد نفسه متحرراً وهائماً بين السماء والأرض يعلو ويهبط كيفما يشاء وكأنه تحول إلى طائر لا يأبه بالجاذبية الأرضية.

تعجب فارس كيف له أن يتحول كلية إلى جزيئات دقيقة امتزجت وتغلغلت بين جزيئات الهواء هنا وهناك حتى أصبح في العالم اللامرئي ولكنه قادر على رؤية الأشياء كيفما يشاء وبصورة

أكثر وضوحاً فهو الآن يستطيع أن يتغلغل ليكون جزءاً من الكل كالماء المنساب من بين الصخور. تعجب كيف له أن يتحول في مادته كلما أراد وكيف أنه لم يعد جسداً كاملاً كما تعود أن يرى نفسه، هو الآن لا يراه أحد ولكنه يرى الجميع بأدق التفاصيل.

وقبل أن يزداد تعجبه وتزداد حيرته فوجئ فارس بجزيئاته تتحول إلى حزمة دائرية تتصعد في السماء تسابق الريح حتى عرج هناك عند مفرق الشمس، وفجأة تحولت جزيئاته إلى جسد في أحسن وأجمل تقويم، ووجد إحدى قدميه تستند على حافة الشمس المتوهجة والأخرى تستند على حافة القمر المضيئ وراحت كفيه تستند عليها النجوم المتألئة.

تعجب فارس كيف له أن يصير جسداً كونياً كهذا ولا تحرقه الشمس ولا صخور القمر وقسوته ولا تثقل عليه النجوم بأوزانها، كيف لقدميه وراحيه أن تكون جزءاً من هذا الكون الفسيح، وازداد تعجب سامح كيف لا تحرقه أشعة الشمس وتذيبه حرارتها ليتلاشى ويصير رماداً في بطن الشمس. اضطرب قلب سامح وازدادت نبضاته وهاجت أنفاسه وتحشرجت روحه خوفاً من حرور الشمس أن تحرقه ومن القمر أن يمور به ومن الكواكب أن تخر على راحتيه ليسقط وللأبد.

وهو هائم في تعجبه وخوفه فوجئ فارس بقرص الشمس يبعد
رويداً رويداً والقمر والكواكب حواليه تتباعد وتتباعد ونبضات
قلبه مازالت مضطربة من الخوف، وفجأة وجد فارس وجوهاً
مضيئة ضاحكة كلها أمل تطل من الشمس والقمر والكواكب فتح
فارس جفونه على أصوات حانية حواليه تنادي عليه لتطمئن بأنه
الآن بخير، فتح فارس عينيه ليجد يد أمه ممسكة بكمادات على
جبهته وأبوه يضمدها بها حرور قدميه وأخواته تمسك بأنابيب
معاليل التغذية وهي تتدلى من عروق ساعديه.

ابتسم فارس ملوحاً بيديه الواهنة لوالديه وأخواته فقد كانت
الشمس وجه أمه والقمر وجه أبيه والنجوم وجوه أخواته، حمداً
للّه على السلامة يا فارس، واضح أنك كنت في حلم كبير، نعم
والدي وكنتم معي هناك نحتسي سوياً أشعة الشمس وضوء القمر
ولألاء الكواكب فما أحلى الحمى عندما تخرج أحلى ما لدينا.



obseikan.com

فرحة الحزن

«كن في عيون الناس فرحة ولو سكن في عيونك

مشروع دمعة».

لم يدرِ شمس بنفسه إلا وهو أمام باب الخروج الزجاجي للشركة، فاغرورقت عيناه بدمعات قليلة جفت في مقلتيه قبل أن تتساقط على وجنتيه، فوقف على بعد أقدام من الباب مرة وكله حيرة من أمره ماذا يفعل الآن؟! فمرة يقدم رجلاً ويهم بالخروج ومرة يؤخرها هروباً من الخروج من هذا الباب الذي يفصله الآن بين الماضي الذي عاشه بكل واقعه الجميل وأمنياته العريضة وبين المستقبل المجهول الذي ينتظره خارج هذا الباب الزجاجي الذي يفتح أتوماتيكياً ولا يتطلب فتحه سوى الوقوف أمامه على بعد مسافة قدم أو قدمين، فكل مرة يهم شمس بالخروج يفتح الباب تلقائياً ثم ينغلق عندما يتقهقر للخلف، نظر شمس إلى الباب بتأمل وحيرة، مجرد باب زجاجي ولكنه يمثل لشمس الآن خط بارليف المانع الذي يجب عليه أن يعبره الآن وللأبد، ولكن مازال التردد يسيطر على شمس وكأنه نفسه أصبح من زجاج قابل للكسر، أجمع شمس قواه وقرر الخروج بعد أن أغمض عينيه

حتى لا يرى الباب وهو يقفل وراءه وكأنه يلطمه لطمًا على خديه وكل جسده.

وما إن اتخذ موقف الهجوم للخروج من هذا الباب الزجاجي الملعون الذي طالما شهد معه الابتسامات العريضة والتحيات التي يوزعها على الداخل والخارج كأنه الفارس المغوار صاحب هذا المكان ومن يعمل فيه حتى فوجئ بمن ينادي عليه بصوت عال يغلفه ضحكة مملوءة بمعاني كثيرة لا يدركها إلا شمس الآن والآن فقط، إزيك شمس، إلى أين ذاهب يا عزيزي؟ هل حان وقت الرحيل؟ نعم د/ سمير حان وقت الرحيل، ووقت التغلب على الماضي بكل ما كان فيه، ولكني أجدك واقفًا هكذا منذ دقائق بدون حراك، هل أصابك مكروه أو تريد مساعدة؟ لا يا زميلي العزيز كنت فقط أتأهب للخروج ثم شممت رائحتك قادمة من بعيد ورأيت ضحكتك التي تحمل كل ألوان الطيف لتغيرها كيفما وأينما يحلو لك المقام فقررت أن أنتظرك حتى تخطو الباب إلى الداخل وأخطوه أنا للخارج ليذهب كل إلى طريقه.

والابتسامة مازالت معلقة على شفثيه وكأنه يحركها لريموت كنترول، رائع سيدي ولكن طريقي معلوم فماذا عن طريقك أنت بعد أن تتخطى هذا الباب الجميل؟ الباب فعلاً جميل بمن يمر

من خلاله فإذا كان هو وسيلة خروجي من هنا فهو أيضاً وسيلة دخولي إلى عالم أكبر وأوسع، عموماً أتمنى لك خروجاً محموداً وسعيًا مشكوراً حتى أراك يوماً ما في مكان ما على ظهر هذه الأرض الواسعة التي تبتلع الهائمين، ولك كذلك، ومن يدري كيف وأين ومتى اللقاء ومن سيحدد اللقاء؟!

لم يعد أمام شمس إلا أن يتخطى الباب الآن على الأقل هروباً من هذا اللسان السليط والشفاه المتلونة والفكر الانقلابي. وبالفعل خرج شمس بسرعة فائقة قبل أن يسترسل سمير في الحديث. انغلق الباب وأصبح شمس حراً في الخارج وسمير يرتع بالداخل يجدد نشاطه مع زبائن له آخرين على قائمة الوجبات التي يتلذذ بطهيها بنفسه على نار الانقلابات الهادئة بلسانه المعسول وشفثيه الملوثنان بأعراض ضحاياهم وعينييه اللتان يرميان شباكهما على عقول المجذوبين من رؤسائه العاشقين لطعم وجباته البشرية.

وقف شمس خارج الباب لا يدري إلى أي اتجاه يسير؟! إلى اليمين حيث صديقه الحميم الذي فرقت بينهما انشغالات الحياة أم إلى اليسار حيث زوجته وأولاده وباقي عائلته؟! لم يتردد كثيراً في اتخاذ اتجاه اليمين ليجد نفسه بعدما يقرب ساعة من المشي المتعمد أمام بيت صديقه د/ عمار، لحسن الحظ فتح عمار

الباب بعد دقائق قليلة ليجد شمس بشحمه ولحمه واقفاً أمامه في بدلته السوداء وقميص أبيض يزينه رابطة عنق بلون رائع ينم عن بساطة شمس المالية. أهلاً بك شمس، لا أصدق نفسي يا صديقي أنك أمامي الآن، إنها مفاجأة رائعة بكل المقاييس، والأجمل أن أجدك بعد كل هذه السنين كما أنت لم تتغير كثيراً سوى هذا الشعر الأبيض الذي يزين وجهه الهادئ وملامحك المقبلة دائماً على الحياة برضاء تام.

قضى شمس أمسية رائعة مع عمار ومع أن عمار لمس همسة حزن تقارب الانكسار في كلمات شمس إلا أنه لم يشأ أن يسأله في أول وهلة عن سر هذا الإحساس، وقبل أن يرمي عمار بسؤاله الغير مباشر على شمس ليفهم ماذا هناك؟! فاجأه شمس بسؤال أربك عقله وسحق صفاء الجلسة الحميمة، عمار، هل تساعدني في إيجاد عمل أياً كان هذا العمل ولكن في أقرب وقت ممكن؟ لم يصدق عمار أذنيه وهو يسمع هذا السؤال من شمس الذي وقع عليه كطالقة ناربية معبأة بكل المفاجآت، ماذا حدث شمس؟ أنا أتابع أخبارك في الجرائد والتلفاز وأعدك من كبار الإداريين في سوق المال ورجال الأعمال، هل تهزر معي أم هذا مؤكد سؤال؟ بالفعل هو سؤال عمار، أنا في حاجة لعمل اليوم قبل الغد فقد تركت العمل أو تستطيع أن تقول تخلى عني العمل

اليوم، لا تشغل بالك يا صديقي فسوف أعمل ما بوسعي لإيجاد عمل في أسرع وقت ممكن.

ترك شمس عمار على أمل سماع أخبار سارة وعاد إلى أهل بيته دون أن يخبرهم عن الأمر.

دلف إلي حجرته بهدوء حتي لا تشعر به زوجته نادية التي تنام في حجرة أخري وأولاده الأربعة وقلما أن يتلاقيا منذ ما يقرب من عامين إلا علي العشاء في أيا الأجازات أو نهاية الأسبوع. و ما أن لمست قدمه أرض غرفته حتي ألقى بجسده في سريره وتنفس الصعداء بعد هذا اليوم المرير. حاول شمس أن يلقي عقله علي جانبه الأيمن وقلبه علي جانبه الأيسر لينام في هدوء بعيدا عن الأفكار التي تهاجمه بسكين البطالة والنفي من وظيفته التي طالما كان يتفاخر بها أمام أصدقائه وأمام زوجته وأقاربه وحتى أولاده. ولكن للأسف لم يستطع شمس أن ينام فقد شعر بأنه ينام علي وسادة من المسامير التي صنعها العالم حتي يومنا هذا. خاف من شماتة زوجته وأهلها ونظرات الشفقة من أولاده والتشفي من أصدقائه، خاف من إنكساره وإنحناءه أمام الجميع. لم يستطع أن ينام إلا بجرعة منوم قلما كان يتناولها إلا عندما تتكالب عليه ليلا مشاغل العمل ومشاريعه وطموحاته. نام شمس نوما إكلينيكيًا لم يفق منه إلا مساء اليوم التالي.

إمتلأ البيت بحركة دؤوبية وغير عادية من الأم والأولاد ، ولم تذهب نادية إلي العمل الذي طالما إنقطعت عنه إلا نادرا بسبب نزلة مرض أو أمر عضال. تحول البيت إلي خلية نحل ملكتها نادية والشغاليين هم أولاده أحمد وأدهم ونيروز ونهاد يحاولون أن يصنعوا عسلا مصفي في كل ركن من أركان البيت. الملكة تدري ماذا تفعل والأولاد لا يدرون السر وراء عدم ذهابهم اليوم للجامعة بأمر من الملكة ومكوثهم في البيت في مساعدتها في ترتيب وتجميل كل شئ بأنفسهم ، وهم قلما أن يفعلوا ذلك ولكنهم علي أية حال إنتابتهم فرحة مكتومة لم يدروا سببها يحوطها قلق لا يخفي لا يدروا سببا وراءه ولكن إنفصال الوالدين يغلف قلقهما بشدة .

وغابت الشمس ورحلت وحلت تباشير المساء وأصبح البيت وكأنه في إنتظار حدث ما لا يدري عنه الأولاد شيئا ، ولكن الأم وحدها تعلم. لم تظهر نادية علي ملامحها أي علامة للإنبساط أو الكآبة قد يستشف الأولاد منها شيئا ، ولكن بدت بملامح جادة التي يسكن في كل ركن فيها الجمال في صمت ووقار مع إبتسامات تهرب من ملامحها تتسكب من شفيتها من حين لآخر. وأصبح البيت وكأنه بيت آخر علي أهبة الإستعداد لحدث أو حفل لا يدري أحد ما هو إلا الأم ومن يدري فقد يعلمه أيضا الأب النائم في حجرته أعلي منذ أمس كما أخبرتهم نادية عند الظهيرة.

تقلب شمس في سريريه وفرك عينيه ليجد نفسه نائماً وسط سريريه في ضوء الغرفة الخافت وعندما نظر إلي ساعة الحائط والتاريخ أدرك أنه نام يوماً كاملاً بلا حراك. إنزعج شمس جداً عندما لم يجد أي مكالمة علي تليفونه الذي طالما كان يشتكي من مئات المكالمات اليومية. عقد حاجبيه وذم شفثيه وألقي التليفون بعيداً و ذهب ليأخذ حماماً ويغير ملابسه ويقصد صديقه عمار لعله يجد أخبار تسره قبل أن يقابل نادية والأولاد ويرى في أعينهم الشماتة والشفقة، وفي قلبه شعور الإنكسار وفي عقله طعم الهزيمة. سيطر علي فكره كم واتت نادية فرصة عمرها الآن لتتشفى فيه بعد هذا الهجران المتعمد منه نتيجة خطأ تافه منها وتأسفت عليه ، خطأً وأسف قد يستخدمه غيره وسيلة للإستحواذ علي قلب زوجته وعقلها بإبتسامه وقبلة وحضن مقابل الإعتذار. ولكنه كان الكبر و الهوي الذي يبحث عن سبب ليتنفس وحيداً بعيداً عن أسوار البيت ليعيش طليقاً بين أحضان أرباب العمل الذي صعد فيه إلي النجومية. وغرب شمس عن نادية منذ ذاك الخطأ الذي وقعت فيه وأصبحت العلاقة بينهما ليلاً مظلماً بالرغم من محاولات نادية المتكررة من إضاءة هذا الليل بأضواء محاولات متكررة منها ولكن باءت كل المحاولات بالفشل فانطوت علي أولادها وجعلت منهم شمسها ونهارها بعيداً عن ليل شمس المظلم حتي يشاء الله وتحرر منه.

إستغرب شمس من المظهر الذي بدت به غرفته وانتابه نفس الشعور عندما دخل الحمام ، كل شئى مختلف ، هناك لمسة ما في حجرته، لمسة نسائية جعلت كل شئى يبدو مختلفا وجميلا ورائعا . أسرع و خرج من حجرته ليطل من أعلي علي باقي البيت في الطابق الأول ليفاجئ بترتيبات مختلفة ومظهر مختلف ولكن يبدو أيضا الوقار والجمال والأناقة في كل ركن. إستغرب شمس وبدا القلق يسيطر علي قلبه وعقله، أ تكون نادية قد علمت بما حدث له في العمل وأرادت أن تكون شماتها مبكرة ومدبرة ومرتبة كما يبدو. أ تراها دعت أهلها علي العشاء وسط الأولاد وفي وجودي لكي تعلن أمامهم خبر الموسم من تركي للعمل أو طردي منه كيفما يحلو لها . لا ، لن أترك لها هذه الفرصة كما تركت لها الفرصة من قبل لتخطأ ثم تركت لها الفرصة لكي تستمر في عملها حتي أصبحت تملك أشهر أتيليه لإكسسوار وملابس السيدات أصحاب الذوات حتي أصبحت معروفة بينهم بمدام شمس بك. لن أترك لها هذه الفرصة اليوم كما تركتها كل مرة، سوف أتصل بسامح وأدعوه ليأتي ليكون كل شئى أمامه ومن يدري لعلي أسمع منه خبر سار يعفيني عن كل هذا الذل والهوان أمام أقرب الناس .

جري شمس وطلب سامح الذي رد علي الفور وأخبره بأنه علم كل شئى دبترته نادية اليوم وأنه قادم الآن ليكون هناك. كيف علم

سامح، ألهدا الحد الترتيبات متقنه حتى تسمح لأهلها وأصدقائي أن تكون مراسم الإنتقام أمامهم، ومن يدري لعلني أفاجئ بأهلي أيضا قادمون لتكون الفضيحة الكبرى. وبسرعة طلب أكبر أخواته الستة الذي رد عليه كما رد سامح، وهنا ألقى بجسده مرة أخرى وسط نفسه يفكر ولكن وقف تفكيره عند حد الإنتقام وكسر ذراع كل التدبيرات. شحذ سكين عقله ليكون جاهزا بأفكار تقطع، وضبط إيقاع نبضات قلبه علي إيقاع الغضب وانتظر في غرفته حتي لحظة المواجهة التي لم يحسب فيها وجود أولاده ومدي تأذيههم مما سوف يحدث أثناء تلك المواجهة، ولكنه فكر فقط في لحظة رد الفعل ليكون رد فعله الشمس الحارقة كما تعود منذ سنتين.

سمع أصوات جلبة آتية من الطابق السفلي فانتفض قلبه وعقله عندما سمع اسمه علي ألسنة من قدموا، وخرج حثيثا لينظر من شرفة الكرودر وهو يرتدي البدلة السوداء والقميص الأبيض والبيبيون الأزرق الداكن وكأنه علي موعد عمل هام. وما أن ظل من الشرفة حثيثا حتي قابلته عاصفة من أصوات الأولاد والأهل وتتوسطهم نادية وبينهم سامح تردد بعيد ميلاد سعيد شمس. إستغرب شمس مما يجري هناك، وحدث بعينيه في الجميع ليتأكد أنه واع وأن مايري ليس هلوثة أقراص النوم الذي

بلغها أمس. ولكنه أفاق علي الإبتسامات والضحك وتلويح الأيدي بأن ينزل ليحتفلوا بعيد ميلاده الستين وزواجه الثلاثين. عيدان تعودا شمس ونادية أن يحتفلا بهما كل عام وسط الأولاد والأهل والأصدقاء، عيدان تعمد شمس ونادية أن يأتيا سويا في يوم واحد لما خططا وصمما أن يكون الزواج يوم عيد ميلاد أحدهما وقد كان شمس وكم ترجم إحتفالهما السنوي بعيدي الميلاد والزواج قصة حبهما الرومانسية التي كانت مصدر حسد العزال حتي قبل عامين من الآن.

سحب شمس سكاكين عقله إلي جرابها وضبط إيقاع قلبه علي فرحة كان يتمناها منذ عامين طوال ، وجري مسرعا علي السلالم ليفاجأ بنادية قادمة اليه ليتقابلا في منتصف الطريق علي سلالم البيت الذي بدا وكأنه ينتظر فرحة زواج. لم يدري شمس إلا ويديه تطوق خصر نادية التي ارتمت برأسها وصدرها في أحضانه معلنة إستسلام العاشقة لزوجها وملقية صهد عذاب الإشتياق طيلة العامين تذوب بين شفثيه أمام الأولاد والحاضرين وكأنهما مراهقين تزوجا بدون خطوبة أو عقد قران.

مشي شمس ناحية تورتة عيد الميلاد والزواج ونادية بين ذراعيه متبخترا ومتباهيا بحبها وبرجولته التي تنام بين أنفاس

نادية وشبابه الذي استيقظ من مرقدہ لينموا من جديد بعيدا عن إنتقام أخطاء الزمن. أمسك شمس بيد نادية ليقطعا التورته الكبيرة ونزل بسكينه رويدا رويدا وقلبه يخفق من الفرح حتى توقفت السكين فجأة عندما وصلت إلي منتصف التورته ليفجأ بعلبة أسطوانية في غاية الروعة والجمال. وقفت السكين عند العلبة المزرقشة، و أمسكت نادية بالعلبة وأعطتها بقبلة لشمس الذي إنتقطها بقلب يرتجف من وسط قبلة نادية وفتحها والصمت عنوان المكان إلا من موسيقي عمر خيرت الهادئة الرائعة دارت الأيام.

فتح شمس العلبة والتقط ما فيها وهو في قمة الإثارة يغلفها إبتسامة قلقة تريد أن تهدأ علي شفثيه. فَرَدَ شمس أول ورقة المعقودة بفيونكة زرقاء جميلة وقرأها ليجد مكتوب عليه أحبك طوال العمر وأحبك بعد العمر ، التوقيع زوجتك نادية. وتحت الإعراف بالحب وجد ورقة عقد زواجهما بعمره الثلاثين. انفرجت أسارير شمس وشعر وكأنه يمتطي ظهر طاووس الحب وهو يحيط خصر نادية بذراعه بحنان . وإلتقط الورقة الأخرى ليجد فيها عقد شراكة بإسمه وإسم نادية يعود تاريخه إلي عامين فلم يصدق شمس عينيه فاحتضن نادية بحنان شديد وضمها إليه كطفلة ذو عشرة أعوام. لم يقدر شمس علي إحتمال ما يري،

فتساقطت دمعات من عيونه لم يرد أن يجففها أو نادية التي همت بأن تجففها بيديها، ولكنه أبي حتى تكون دموعه المتساقطة رمز للإعتذار عن كبرياءه الذي أوقف سريان الحب بينه وبين نادية طوال عامين.

وفي وسط هذه الأخبار السعيدة التي ملأت قلبه بالفرحة ليس بعقد الشراكة ولكن بعقد الحب الذي جددته نادية بينهما، إقترب سامح من شمس ليعلن له عروض عمل كمستشار من ثلاث شركات إستثمار كبيرة. انتشي شمس وشعر بأنه الآن الحبيب والزوج والأب والصديق والرجل الذي لم ينكسر ولم تنقطع عنه الأوصال.

وهو يحيطها بذراعيه ويحملها علي صدره كطفلته المدللة ، سألته نادية لمن كل هذه الأناقة التي ترتديك اليوم حبيبي. رد شمس والإبتسامة تغازل ملامحه وتتدغدغ مشاعره ، هي لكي أنتي وحدك حبيبي فقلبي كان يشعر اليوم بأنه قادم علي حدث كبير فتهياً له جسدي دون أن أدري. لكي أنتي وحدك يا صاحبة المشوار الطويل. آسف حبيبي علي أخطائي وعلي نسيان عيد الميلاد وعيد زواجنا. شكرا جدا حبيبي ، أحبك جدا زوجتي.

وقد كان يوم العمر للزيجة الثانية بدون عقد بين الأولاد
والأهل والأصدقاء.



obseikan.com

جائزة الابن المثالي

«لا تقرع الطبول فقط لشن الحروب، ولكنها تدق

أيضاً لسلام القلوب».

استيقظ الأستاذ صبري في الصباح الباكر كعادته التي لم تنقطع طوال خمسة وثلاثين عاماً هي عمر سنوات عمله موظفاً في مصلحة الضرائب وسنوات الغربة في دول الخليج ليحسن من الوضع المالي لأسرته التي وهبها حياته لإسعادها بكل الوسائل التي حرص ليل نهار على تحقيقها، وقبل أن يحتسي فنجان القهوة الذي يبدأ به يومه دق بهدوء وكعادة كل صباح غرفة ابنه نبيل ليوقظه وعندما لم يرد دلف إلى الغرفة وذلك بكف يده رأس نبيل بحنان بالغ محاولاً إيقاظه، تقلب نبيل في فراشه الدافئ ولم يكلف نفسه حتى النظر لوالده وأشاح بيده من تحت الغطاء ولم يرد، تركه والده ولسان حاله يدعو له بالهداية والتوفيق وإيجاد عمل ينتشله من هذا الفراغ.

أكمل برنامجه اليومي المعتاد ودق على غرفة ابنته سميرة والتي قابلت دقات يديه التي تحفظها بنداء من صوتها العذب

ليدخل. احتضن فيها شعور البنوة الذي لا يتغير مهما كبرت واحتضنت فيه مشاعر الأبوة التي تزداد كلما كبر وكبرت. صباح الخير دادى، يا أحلى داد فى الدنيا. صباح الخير حياتي، هعمل الفطار على ما تجهزي. ميرسي دادى حبيبي، وقبلت جبينه ويديه ونهضت كالفراشة.

وبكل همة ونشاط كعادته كل صباح، خاصة كصباح اليوم بشمسه الساطعة وهوائه الدافئ في منتصف فصل الشتاء، ترك الأستاذ صبري يديه تتعامل مع أدوات المطبخ كعازف ماهر يخرج بها أطيّب وألذ الوجبات من أقل المكونات تماماً كما تضرب على يد زوجته التي أصرت أن تعلمه الطهي في الفترات الأخيرة من حياتها وأثناء مرضها؛ وبسبب حبه لزوجته وحبه لخدمة أولاده أحب الطهي وأتقن الوجبات التي يفضلها أولاده فقط ليجعل بيت الأسرة وكأن صاحبه لم تفارقه محاولاً أن يكون أباً مثالياً.

السفرة تبدو شهية بأطباق الإفطار التي صنعتها أيدي، قبلت سميرة يديه وأمطرته بالأخبار السعيدة عنها لتملاً عليه أوقاته بالبهجة وتعوضه انفلات عقوق نبيل وكسله وعدم مراعاته لحقوق الأم التي ماتت ولا والده الذي مازال على قيد الحياة أمام عينيه؛ ولأن سميرة تدرك جيداً مدى تأثر والدها بسلوك نبيل خاصة

وأنه ابنه الوحيد وخاصة بعدما خرج على المعاش أمس، جلست بجانبه كالطفلة المدللة مرة تمدح في الأطباق وتارة تمدح في طريقة التقديم وتارة تضع لقيمات بيديها في فمه ومرة تحادثه في أموره الخاصة بمرح، ولم تشأ سميرة أن تتعرض لخبر المعاش وماذا هو بفاعل بعد توقفه عن العمل الذي كان يمثل له كل الحياة؟

لاحظت سميرة أن والدها يرتدي ملابس الخروج ولكنها لم تسأله، بل طلبت منه أن يوصلها للبنك الذي تعمل به ولكنها فوجئت به يخبرها بأنه ذاهب للعمل كعادته. وعبئاً حاولت أن تشيه عن فكرته، ولكنها طاوعته يفعل ما يشاء طالما يدخل السعادة على قلبه، نظر على نبيل مرة أخرى في غرفته لعله يستيقظ قبل أن يترك البيت ولكن بلا جدوى، قبل جبين سميرة ولم يشأ أن يخبرها بأنه ليس لديه هدف محدد ولا يدري إلى أين هو ذاهب وأنه اختلق فكرة ذهابه للعمل حتى لا تقلق عليه. نزل إلى الشارع وحال ابنه نبيل يسيطر على فكره أكثر من تقاعده على المعاش.

ترك الأستاذ صبري قدميه تأخذانه إلى حيث تريد وفرصة له يفكر في الأسباب التي جعلت من نبيل ابناً عاقاً هكذا، ذهب بعقله إلى الوراء منذ أن كان نبيل طفلاً وكم كان يمثل محور اهتمام الأسرة ولكن للأسف اهتماماً لم يجعل منه رجلاً بل خلق فيه طفلاً كبير داخله مع الزمن، وتذكر كم كانت أمه تجعل

منه أميراً ويجعل هو منه ملكاً ولكن وللأسف لم تخلق منه هذه المشاعر سوى خفيراً وعاقباً، لم يكن أستاذ صبري يدرك أن حال نبيل سوف يستحوذ على فكره هكذا أكثر من تفكيره في إحالته إلى المعاش، تنهد أستاذ صبري محاولاً وجود عذر: حقاً قد يحول الانشغال بالعمل بين الأب وأحوال أولاده. ابتسم في نفسه حقاً كما: للمعاش مواجع إلا أنه يفتح صفحة بيضاء جديدة لمزاولة المعاش الحقيقي بين الأب وأبنائه، ومن يدري لعله سمي بالمعاش لهذا السبب.

استمر في سيره والأفكار تحاصره حتى دارت رأسه بالأرض ولم يدر أستاذ صبري بنفسه إلا وهو أمام المسجد فتوضأ وصلى ودعا الله لنبيل بالهداية، سأل إمام المسجد عن حل لحال نبيل من القرآن والسنة فألقى عليه الشيخ بالعديد من الآيات، توقع أن يحصل من الشيخ على رويضة دينية وعملية تعالج ابنه فلم يجد عنده إلا رويضة من دعوات يحفظها الأستاذ صبري جيداً فترك المسجد حاملاً هموم ابنه على كتفيه التي لم يجد لها حلاً حتى الآن يخرج به العقوق من صدر نبيل ويهلك اللامبالاة التي عششت في عقله.

وقعت عينا الأستاذ صبري على إعلان كبير عن احتفال للأب والابن المثالي، تعجب من هذا الإعلان فهو لم يسمع عن احتفال كهذا من قبل، فكل ما يعرفه هو احتفال الأم المثالية، زاد

الإعلان من همومه فلا هو أب مثالي كما كان يظن ولا ابنه ابن مثالي كما هو واقع فكلاهما انعكاس لمدى مثالية الآخر، رمق الإعلان بدمعة في عينيه وحسرة في قلبه ومشى بعيداً لكي يهرب منه وكأن الشارع يعاقبه هو الآخر كما عاقبه التقاعد، ازداد دوار رأسه ولم تعد قدميه تتحمل ثقل جسده ولا ثقل همومه فتوقف عند الكافية الذي تعود قضاء بعض أمسياته فيه ورمى بجسده المنهك على أول كرسي قابله.

لما رآه النادل على هذا الحال جاءه مسرعاً ومعه كوباً من الماء وعصير البرتقال ولم يتركه حتى اطمأن عليه، ثم جاءه عم صابر ماسح الأحذية كما يناديه رواد الكافية ليحييه وجلس تحت قدميه ليمدد الأستاذ صبري له حذاءه لتلميعه كالمعتاد، ولكن لم يمد الأستاذ صبري حذاءه من شدة الإجهاد، فنهض عم صابر من على الأرض وجلس بجواره ليطمئن عليه وعلى أحواله.

كل ده يا أستاذنا علشان طلعت على المعاش، ده أنت لسه بصحتك وممكن تلاقي شغل كثير، ده حضرتك سيرتك زي البرلنتي ومعارفك كثير.

أنا اللي تاغبني أكثر من المعاش يا عم صابر هو حال ابني نبيل، لم يتغير حتى بعد ما بقى عمره ٢٧ سنة وهو الابن الوحيد، بص هناك يا عم صابر شوف الإعلان اللي هناك ده بيقول إيه؟!!

ما أنت عارف يا أستاذ صبري إني مش بعرف أقرأ، إيه اللي مكتوب فيه قولِّي بس وما تزعلش.

هو إعلان يا عم صابر عن حفلة كبيرة للأب المثالي والابن المثالي. تخيل بقى جاي على الوجيعة عليّ وعلى ابني مرة واحدة زي المعاش ما جالي النهاردة كمان.

بس حضرتك أب مثالي فعلاً يا أستاذ صبري، ليه ماتقدمش وإن شاء الله يختاروك وتكسب جائزة الأب المثالي.

ماينفعش يا عم صابر، مافيش أب مثالي من غير ابن مثالي ومفيش ابن مثالي من غير أب مثالي، هي كده يا عم صابر، الإعلان ذبحني وعرفني نفسي بعد العمر ده كله إني مش أب مثالي وأنا اللي متخيل إني مثالي.

بس أنت عملت اللي عليك يا أستاذ صبري والكل يشهد بكده والدليل بنتك الأستاذة سميرة متفوقة ومؤدبة وابنة حنونة، الغلط عند ابنك الأستاذ نبيل مش عندك، بلاش تزعل نفسك يا أستاذ صبري ولا ده من تأثير المعاش.

لأ يا صابر المعاش هو اللي فوقني والإعلان ده اللي فوقني أكثر، وحتى لما سألت شيخ الجامع عن حل عملي ما أخذتش منه إلا دعوات وبس، ولو كان على الدعوات كان زمان ابني صحابي رضي الله عنه.

ضحك عم صابر من تشبيهه الأستاذ صبري، ثم بادره طيب وإيه رأيك في اللي يديك الحل، صحيح أنا مش شيخ جامع ولا دكتور ولا فيلسوف ولا حتى متعلم، بس عندي فكرة حلوة ومين عارف يوضع سره في أضعف خلقه .

أبدأ يا عم صابر أنت من أحسن الناس وأنت عارف قد إيه بقدر فكرك، قولي على فكرتك.

شوف يا أستاذ صبري، معظم أسباب عقوق الشباب بوالديه وخاصة اللي زي نبيل الدلع والفلوس والكسل، ومن شب على شيء شاب عليه وده اللي حصل معاه ولكن برضه الطبع بيغلب التطلع وطبع ابنك أكيد كويس لأنه ابن ناس والدليل حضرتك ووالدته الله يرحمها وأخته اللي مفيش زيها . إيه رأيك لو نطبع الأستاذ نبيل على طبعه لحد ما يطبع عليه ويبقى طبع وتطلع . نظريتك معقولة يا عم صابر وفلسفية حقيقة ولكن تتحقق إزاي؟ ده عنده ٢٧ سنة وصعب يتغير .

لأ يا صبري بيه، الأستاذ نبيل لسه صغير وإن شاء الله فكرتي مع الدعوات مع مجهود منك ومن أخته هيتغير، إنما الدعوات لوحدها أو مجهودك لوحده حتي لو مع الدعوات مش هيعمل أي حاجة، هو الإعلان ده هيجلص إمتى والحفلة إمتى علشان تلحق تقدم لو فكرتي نجحت ويبقى لي الحلاوة .

أنا الحفلة ما تهمني يا عم صابر، هو الإعلان بس اللي فوقني كأنهم عايزين يقولولي فوق مفيش ابن مثالي من غير أب مثالي ومفيش أب مثالي من غير ابن مثالي، عمومًا قولّي على فكرتك مين عارف، ربنا كبير يا فيلسوف.

ابتسم عم صابر ونهض وأشار إلى الإعلان، بص يا أستاذنا بدل ما بيقى إعلان وتقديم نخليه إعلان عن مسابقة بفلوس وتقديم، والجائزة المالية كبيرة ومعها سفر برة وكمان وظيفة، كده ممكن تجذب نظر الأستاذ نبيل ويتمس ليها على الأقل علشان الفلوس والسفر حتى لو اتظاهر إنه اتغير وهو متغيرش، بس أكيد هتأثر فيه.

تعجب الأستاذ صبري من الفكرة الذكية لعم صابر، فكيف لاحت له هذه الفكرة والحبكة الدرامية التي لم يهتد لها عقله، أعجبه الفكرة ولكنه لا يدري بعد كيف يتم تنفيذها؟! أفاق من سرحانه وسأل عم صابر، وإزاي تتعمل المسابقة ونقنعه بيها وهي أساسًا مش موجودة.

سهلة يا أستاذ صبري، روح للناس بتوع الحفلة وقولهم على فكرة المسابقة وهما أكيد هينبسطوا ويمكن يغيروا الإعلان ويطولوا مدته كمان، أكيد لأنهم عايزين يفرحوا الناس، بس أنت

بقى ضحي واديهم ثمن كل ده وشوف حد من معارفك رجال الأعمال يتبرع بكام وظيفه للشباب اللي هيفوز والله لو كان الأستاذ نبيل منهم يبقى خير وبركة مش منهم يبقى أنت عملت خير في الشباب وتبقى صدقة جارية منك طول العمر ويمكن بسببها ربنا يهدي نبيل وأهه تبقى عملت اللي عليك قدام ربنا .

نهض أستاذ صبري وكأن قوة العالم تجمعت في قدميه وفكر العالم المستتير ملاً عقله، نهض وقبل جبين عم صابر وضمه لصدره، ما أروعك يا عم صابر! ما أروع بساطتك وفكرك وبسمتك ورجولتك وصدافتك! هيبقي ليك حلوة كبيرة يا عم صابر لو قبلوا الفكرة وسواء نجحت أو مانجحتش، أستاذنك يا عم صابر علشان أبدأ الخطة.

أظهر المسئولون عن الحفل ترحيباً كبيراً بفكرة الأستاذ صبري ووافقوا على تغيير البرنامج والإعلان ووعدوا بتحمل النفقات كلها من خلال نفس رجال الأعمال المتبنين للحفل ولكن أصر الأستاذ صبري على المشاركة بمبلغ يتحمل به جائزة كاملة لأحد الشباب، وافق منسقوا الحفل وتحولت إلى مسابقة كبيرة يتقدم لها الأب والابن بملف واحد ومن يحصل على الجائزة هو الابن والتكريم هو الأب.

لم يعد أمام الأستاذ صبري سوى إقناع ابنه نبيل بدخول المسابقة وعمل اللازم لكي يفوز بالجائزة الأولى، لم يجد أمامه سوى ابنته سميرة ونجلاء حبيبة قلب نبيل التي طالما كانت سبب الخلاف بينه وبين نبيل، لما علمت سميرة الفكرة بتفاصيلها من والدها ومن كان وراءها تحمست جداً لها ووعدهته بعمل اللازم مع نجلاء لإقناعه وأكدت أنه سوف يوافق من أجل المال والسفر وحببيته. وبالفعل اجتمعت سميرة مع نجلاء على نبيل والذي قابل فكرة المسابقة بلا مبالاة كالعادة ولكنه وافق أخيراً بعد إلحاح من حبيبته وأخته ودعوات من أبيه.

لازمت سميرة ونجلاء تحركات نبيل ووالده وسجلت أحداث علاقة الأب والابن والتي ظهر فيها نبيل براعته كمثل كبير أمام كاميرا تسجيل سميرة ونجلاء بالرغم من التأثير الشديد الذي ظهر في مآقي والده، ومع الوقت كلما رأى نبيل مآقي والده تلمع بدموعه الحبيسة كلما رق قلبه وتقرب من والده حتى تمنى أن يبكي والده ولو مرة ليمسح له دموعه، وبالفعل وبعد أن شعر والده ببعض التحول من ابنه ذرف دموعه دون أن يدري، ثم سألت على وجنتيه عندما شعر بأنامل ابنه تحت جفونه تجفف دموعه، أتدري يا نبيل كم كنت أنتظر هذه اللحظة ولكن بدون دموع؟! وهل تدري يا والدي كم تمنيت أن تذرف ولو دمعة لأجفنها بكفي وأعتذر لك عن جفائي؟! التقطت سميرة هذه اللحظة النادرة

والعفوية بالكاميرا لتجعلها خاتمة العرض الذي سوف تقدمه عن
العلاقة بين الأب والابن في المسابقة.

جلس نبيل بجانب والده وحواليهما سميرة ونجلاء وعم صابر
وبدأت مراسم الحفل والإعلان عن المتسابقين والفائزين، ألقى
يخفق الآن يا نبيل تمنياً للجائزة الأولى؟! نعم، قلبي يخفق يا
والدي ولكن ليس للجائزة بل من فرحتي لعودتي إلى طبعي الذي
غاب عني سنين طوال، وها هي يديك ورأسك أقبلها يا والدي
الحبيب. ابتسم عم صابر لما سمع كلمة طبع وتطبع، وغمز بعيني
للأستاذ صبري بابتسامة وضحكة، ابتسم عم صابر ثم سكت
الجميع وعيونهم على مقدم الحفل فقد جاء وقت الإعلان عن
الفائز الأول.

الآن سيداتي وسادتي حانت اللحظة التي يتطلع لها كل أب
وكل ابن لجائزة الأب والابن المثالي وهي الأولى من نوعها. تقدم
للمسابقة أكثر من مائتي متسابق كل متسابق عبارة عن ابن وأب
وكانت المنافسة شديدة للغاية جعلت مهمة لجنة التحكيم في غاية
الصعوبة خاصة أن معظم المتسابقين تنطبق عليهم الشروط. وفي
النهاية اختارت لجنة التحكيم أباً وابناً للجائزة الأولى بعد تطبيق
كل المعايير المعلن عنها، والآن الجائزة الأولى لأب وابن لم يستسما
للعلاقة السلبية بل حولها لعلاقة إيجابية انتهت بأسرة سعيدة
ورضاء الأب وفلاح الابن كمثال واقعي بأن الإنسانية تتدفق في

قلوبنا ولكنها تحتاج فقط لمن يفتح لها صنبور العواطف المغلق.
والآن الفائزون هما الأستاذ صبري عبد الفتاح محمد وابنه
الأستاذ نبيل صبري محمد، ألف مبروك للفائزين بالجائزة الأولى
وأدام الله عليكم الحب الأسري والوثام.

نهض الأستاذ صبري يتأبط ذراع ابنه وعيونهما متعلقة على
سميرة ونجلاء وعم صابر، وما إن تسلم درع التكريم حتى وقف
الأستاذ صبري ليهدي هذا الدرع إلى صاحب الفضل عم صابر
بعد أن ذكر أنه صاحب الفكرة التي حولت نهج المسابقة لتسعد
الأب والابن بطريقة عملية وبفلسفة بسيطة بأن الطبع قد يُبعث
في صاحبه ليتطبع به ولو بعد حين. شكراً يا عم صابر ومبروك
لك التكريم.

ذرفت الدموع من عيني عم صابر لما تسلم أول درع في حياته
أمام جمع الناس والتلفاز ورجال الأعمال والمسؤولين، ثم لمعت
عيناه بالفرح والرضا والأمل لما سمع مقدم الحفل يعلن عن تغيير
مسمى المسابقة وللأبد باسم «مسابقة عم صابر للأب والابن
المثالي».

بكى عم صابر من الفرحة، والناس تباركه فقد أصبح
الصديق والمفكر المثالي.



جوايا حاجات وحاجات

خاطرة بقلمي

د . محمد لبيب سالم

جوايا حاجات وحاجات

جوايا فراغ وهو كبير

سقف وبيت وجدران

وأرض واسعة وغيطان

وصحرا وزرع وألغام

جوايا أفكار وأحلام

ولعب وحكمة ومية ونار

طفل بيضحك لي فرحان

وشيخ نايم في سرحان

وولد زي القمر غضبان

جوايا شباب ضله حيران
عالم حزن وفرح وتوهان
جوايا زحمة أفعال وكلام
وناس بتطير زي الغربان
وناس بتحرق زي النيران
وناس زي نسمة رمضان
جوايا حر وضلة ونسمات
خناقات مع ليلي السهران
ونهارى اللي مليون حكايات
جوايا قلب وعقل وأسرار
جوايا نور وأحمد وصلاح
وياسمين وضي وبسمات
جوايا ألف حياة وحياة

جوايا حاجات وحاجات

#محمد لييب سالم خواطر

obeyikan.com

oboiikan.com

عن المؤلف:

د . محمد لبيب سالم أستاذ بكلية العلوم ومدير مركز التميز لأبحاث السرطان ومدير مركز المشروعات والإبتكارات ونقل التكنولوجيا بجامعة طنطا والمشرف العام علي مركز بحوث تنمية إقليم الدلتا بمصر . د . لبيب باحث في علم المناعة والأورام وعضو في العديد من اللجان القومية في التعليم والبحث العلمي وعضو في اتحاد الكتاب بمصر ومستشار علمي لمنظمة المجتمع العلمي العربي .

د . لبيب مؤلف وكاتب وتمثل رواية «وقت للبيع» أولي روايته الصادرة عن دار أطلس للنشر والطباعة والتي تم ترشيحها في عام ٢٠١٥ لجائزة الرواية في الأدب العربي المعروفة باسم «البوكر» . ثم توالى أعمال د . لبيب الأدبية لينشر المجموعة القصصية «العشق الحلال» . وتم عرض كلا من رواية وقت للبيع والمجموعة القصصية «وقت للبيع» في المعرض الدولي للكتاب بمصر وكذلك في العديد من معارض الكتاب الأخرى بمصر والدول العربية . وله تحت الطبع المجموعة القصصية بعنوان «زحمة مشاعر» الصادرة عن دار أطلس للنشر . وامتدت مؤلفاته الأدبية لتشمل حديثا رواية «سفاري إلي الجهاز المناعي» ومؤلف بعنوان «أساسيات في العلاج

المناعي للأورام». وقد نشر د. لبيب أيضا سلسلة من المقالات العلمية والأدبية والسياسية في العديد من الجرائد والمجلات المصرية والعربية مثل العلم، العربي، الفيصل، روزليوسف، العالم اليوم ومنظمة المجتمع العلمي العربي بالإضافة إلي المواقع العربية مثل مجتمع بناء وموضوع.

د. لبيب حاصل علي بكالوريوس العلوم عام ١٩٨٤، وماجستير العلوم في ١٩٨٩، ودكتوراة العلوم في ١٩٩٥. وقد مُنح د. لبيب جائزة الدولة التشجيعية لعام ٢٠٠٤ وجائزة الدولة للتفوق لعام ٢٠١٠ وجائزة جامعة طنطا التقديرية لعام ٢٠١٥ ورشحمن قبل جامعة طنطا للحصول علي جائزة الدولة التقديرية في العلوم الأساسية في ٢٠١٥. وله أكثر من ١٠٠ مؤلف علمي منشورة بالدوريات العلمية العالمية. د. لبيب عضو في هيئة التحرير للعديد من الدوريات العلمية. واستقر د. لبيب بمدينة فوكوكا باليابان كباحث لمدة خمسة أعوام في الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٤ ثم من ١٩٩٧ - ٢٠٠١. وفي مدينة تشارلستون بأمريكا من ٢٠٠١ - ٢٠١٠ كأستاذ جامعي وباحث.

قام د. لبيب بزيارة العديد من الدول مثل الصين، كندا، إيطاليا، ماليزيا، كوريا الجنوبية، السعودية، الأردن، الإمارات. وقد أثرت هذه الرحلات وكذلك طبيعة العمل كباحث في أسلوب

كتابه الأءبفة الفف ففسم بالفءلف ورفط الظواهر البفولوجفة
بالأمور الحفافة مع إضفاء الففال الأءبف لإظهار الواقع بفس
أءبف رففع.

mohamedlabibsale@yahoo.com

oboiikan.com

| الصفحة | المحتوى |
|--------|------------------------------|
| ٥ | إهداء:..... |
| ٧ | المقدمة:..... |
| ٩ | أم محمد ومناديل المعاش:..... |
| ٢١ | ملل الشاعر..... |
| ٢٥ | أمير على باب الله:..... |
| ٣٣ | طرد الحياة:..... |
| ٣٧ | موعد مع الذكريات:..... |
| ٤٣ | أحلام وراء القضبان:..... |
| ٤٩ | الطريق إلى الوزارة:..... |
| ٥٩ | انتيرفيو صاحب السعادة:..... |
| ٦٧ | جائزة آخر العمر:..... |
| ٧١ | بكاء الحجر:..... |
| ٧٧ | حكاية معركة:..... |
| ٨١ | حارة الكتب العتيقة:..... |

| | |
|-----|------------------------------------|
| ٨٩ | زحمة مشاعر: |
| ٩٥ | أنشئ الثورة: |
| ١٠١ | مفاجأة أسبوع السعادة: |
| ١٠٥ | ثورة الأمنيات: |
| ١١٣ | حديث من وهج: |
| ١١٧ | أوجاع الصمت: |
| ١٢٣ | سيدة: |
| ١٢٩ | عضلات الحظ: |
| ١٤١ | صهد الحياة: |
| ١٤٥ | طوبية وأمطار الستر: |
| ١٥١ | نيران العواطف: |
| ١٥٧ | موبايلات المشاعر: |
| ١٦٥ | ملف قيصر: |
| ١٧٩ | نزيف الأحلام: |
| ١٨٥ | ومن رائحة الموت تولد الحياة: |

| | |
|-----|----------------------------|
| ١٨٩ | ميلاد من رحم الذنوب: |
| ١٩٧ | طبيب يوم الخميس: |
| ٢٠٧ | أفكار جنائزية: |
| ٢١٣ | التنازل عن التمني: |
| ٢١٩ | حلم الرحيل: |
| ٢٢٣ | حمى المشاعر: |
| ٢٧٧ | فرحة الحزن: |
| ٢٤١ | جائزة الابن المثالي: |
| ٢٥٣ | جوايا حاجات وحاجات: |
| ٢٥٧ | عن المؤلف: |

حقوق الطبع محفوظة للناشر



أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامي

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر